M1909 : 410
M1/224

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945
قالمة

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم التاريخ و الآثار

التخصص: تاريخ عام

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام بعنوان:

إنتشار الإسلام في شبه القارة الهندية في عهد السلطان محمود الغزنوي (388 -421ه / 998-1030م)

إعـــداد الطـــالب:
- نور الدين خلة

إشـــراف
الأستاذ:
-أولاد ضياف رابح

لجـــنة المنـــاقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
بن مارس كمال	أ ــ الدكتور	رئـــيسا	جامعة 08 ماي 1945
أولاد ضياف رابح	أستاذ مساعد	مشرفا ومقررا	جامعة 08 ماي 1945
فؤاد طوهارة	أستاذ مساعد	عضوا مناقشا	جامعة 08 ماي 1945

السنة الجامعية:1434-1435ه / 2013-2014 م

الفهرس

فهرس المحتويات

شكر وعرفان	I
فهرس المحتويات	أ-II
مقدمة	أ- ج
الفصل الأول: الدولة الغزنوية نشأتها و أحوالها السياسية.	
ظروف نشأتها.....	09-01
آل البكتين ودورهم في نشأة الدولة الغزنوية.....	11-10
أ- البتكين.....	14-11
ب-أبو إسحاق إبراهيم بن البتكين.....	15-14
ج- بلكاتكين (غلام البتكين).....	16-15
د-بيري (غلام البتكين).....	16
ولاية سبكتكين وفتوحاته.....	21-16
علاقة سبكتكين بالسامانين وأعماله في خراسان.....	21
أ- دوره في القضاء على التمردات داخل الدولة السامانية.....	24-21
ب-دفاعه عن السامانين ضد الأتراك القراخانيون.....	27-24
ج- وفاة سبكتكين.....	29-27
الفصل الثاني: دور السلطان محمود الغزنوي في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية	
محمود الغنوي وظروف توليه العرش.....	29
أ- شخصيته.....	30-29
ب-ظروف توليه العرش.....	33-30
انهيار الإمارة السامانية واستيلاء محمود على خرسان.....	40-33

حملات السلطان وفتوحاته في شبه القارة الهندية.....	41-40
1-غزوة البنجاب و ويهند.....	42-41
2-فتح بهاطية.....	43-42
3-إخضاع الملتان.....	44-43
4-تمرد شكبال (سوخيال) نواسه شاه، وقضاء السلطان عليه (398ه/1008م).....	44
5-معركة بهيم نغر.....	45-44
6-غزوة ناراين(400ه/1009م).....	46-45
7-تكملة فتوح السلطان محمود في الملتان.....	46
8-معركة ناردين.....	47-46
9-غزوة تانيشر(405ه/1014م).....	48-47
10- غزو كشمير.....	54-48
11- فتح سومنات.....	60-54
الآثار الحضارية لفتوح السلطان محمود على بلاد الهند.....	60
أ- الآثار الدينية.....	64-60
ب-الآثار الثقافية والعلمية.....	68-64
الخاتمة.....	70-68
الملاحق	74-71
قائمة المراجع	80-75

المقدمة

منذ مطلع القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، دب الضعف إلى جسم الدولة العباسية، نتيجة لعدة عوامل، و أدى ذلك إلى ظهور ما عرف بالدويلات المستقلة التي سيطرت على مناطق عديدة في العالم الإسلامي شرقه و غربه.

و من هذه الدول التي ظهرت في المشرق الإسلامي، "الدولة الغزنوية" التي نشأت كإمارة صغيرة في منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ثم أخذت في التوسع شيئا فشيئا حتى غدت دولة كبرى تسيطر على مناطق كثيرة من بلاد الهند و خراسان، و بلاد ما وراء النهر، و استمرت نحو قرنين من الزمن من سنة 351 هـ – 962 م / 572 هـ – 1183 م و بلغت هذه الدولة أقصى درجات قوتها و اتساعها و ازدهارها في عهد السلطان محمود الغزنوي الذي استطاع أن يعتلي العرش سنة 388 هـ / 998 م، و بذل جهودا كبيرة في سبيل ترسيخ نفوذ دولته و توسيع رقعتها من خلال انتهاجه سياسة التوسع على حساب الكيانات السياسية المجاورة لحدودها، و لكن ما امتاز به عهده و ذاع به صيته هو رفعه لراية الجهاد الإسلامي في الهند و بلغ في فتوحاته حدود هضبة الدكن فاعترفت به الخلافة العباسية سلطانا مستقلا، و منحه الخليفة العباسي القادر بالله (381 – 422 هـ / 991 – 1030 م) العديد من الألقاب الفخرية ذات الدلالات الدينية كان أهمها لقب: "يمين الدولة و أمين الملة" الذي اشتهر به اعترافا من دار الخلافة بفضله في رعاية الركن الأيمن من المشرق الإسلامي.

دوافع اختيار الموضوع : عرف عن السلطان محمود الغزنوي، أنه كان مسلما قوي العقيدة، تواقا إلى نشر الإسلام، بلغت فتوحاته في بلاد الهند، حدا لم تبلغه رايات الإسلام من قبل،

و لعل هذا وحده، قد يشكل سببا كافيا، لأي منصف، أو محب للتاريخ الإسلامي، بأن يجعله موضوع بحثه، من باب الإعزاز و الإجلال، لدور ذلك السلطان العظيم في نشر الإسلام، في شبه القارة الهندية، هذا، فضلا، عن الاعتبارات العلمية، المتمثلة خصوصا في قلة البحوث العلمية، و ندرة الدراسات الأكاديمية، التي تناولت هذه الشخصية الإسلامية، و أعطتها حقها في الوطن العربي و الإسلامي بصفة عامة، و الجزائر على وجه الخصوص.

لذلك فالهدف من هذه الدراسة هو إبراز دور السلطان محمود في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية من خلال دراسة حملاته، و فتوحاته، المتتابعة، المخططة، و المنظمة، و الهادفة، و إبراز، آثارها السياسية و الحضارية.

حدود الموضوع و منهج البحث: تعالج هذه الدراسة فترة زمنية محدودة من تاريخ المشرق الإسلامي، تبدأ منذ تولي السلطان محمود الغزنوي العرش سنة 388هـ/998م حتى وفاته سنة 421هـ/1030م. معتمد في ذلك على المنهج التاريخي العام، الذي يعرض الأمور بتسلسلها الزمني، و يتتبع الظاهرة، من مراحلها الأولى، حتى مراحل نضجها، و ذلك من خلال عرض المقدمات السياسية، التي مهدت لنشأة الدولة الغزنوية، و إيضاح الظروف التي ساعدت، السلطان محمود، في الوصول إلى السلطة، ثم سيطرته على خراسان، و انهيار الدولة السامانية، ثم الدخول في صلب الموضوع، و هو تتبع حملاته، و جهوده في نشر الإسلام في بلاد الهند، و ما ترتب على ذلك من آثار.

و قد حرصت هذه الدراسة على ضبط أسماء الأعلام و المدن، من خلال الرجوع إلى المصادر و المراجع الموثوقة، كما حرصت على كتابة التاريخ الميلادي والهجري، باليوم و الشهر و السنة، مستعينا في ذلك بأحد برامج التشغيل على الحاسوب.

الصعوبات:

أول الصعوبات تمثلت في صعوبة التعامل مع أهم مصدر رئيسي للبحث و المتمثل في مخطوط " اليميني " لمؤلفه أبي نصر محمد عبد الجبار العتبى فقد جاء هذا المخطوط مليئا بالحشو من الألفاظ، المترادفة الجمل و الفقرات، والمتعلقة بالأساليب البديعة المتنوعة، التي تذهب باللب من المعنى، الأمر الذي يجعل عملية الوصول إلى الحوادث التاريخية أمرا في غاية الصعوبة لكثرة الألفاظ المجازية المحتملة لأكثر من معنى.

ثانيا فشلي في الحصول على كتاب طبقات ناصري للجوزجاني و كتاب روضة الصفا لميراخواند و ترجع أهمية هذين المصدرين كونهما سجلا تاريخ الغزنويين بشكل عام وتناولا بالتفصيل الجانب السياسي و العسكري لفتوح السلطان محمود في بلاد الهند.

خطة البحث: ضمت هذه الدراسة مقدمة و فصلين وخاتمة و فيما يلي موجز لأهم ما تضمنته.

أما الفصل الأول فجاء بعنوان الدولة الغزنوية،نشاتها واحوالها السياسية تناولت فيه نشأة الدولة الغزنوية و تطورها موضحا الظروف و الأسباب التي أدت إلى قيامها، مستعرضا جهود المملوك البتكين في تأسيسها، و دور إبنه أبي إسحاق إبراهيم، و مماليكه بلكاتكين و بيري، في الحفاظ على هذه الدولة الناشئة. ثم تناولت بالدراسة شخصية سبكتكين، و ظروف توليه الحكم، مبرزا دوره، في ترسيخ دعائم الدولة الغزنوية ،و توسيع رقعتها، و جهوده في نشر الإسلام في بلاد الهند، مبينا طبيعة علا قته بالدولة السامانية، ثم وفاته و تولية إبنه إسماعيل العرش بدلا من إبنه الأكبر محمود.

و خصصت الفصل الثاني، لدراسة شخصية السلطان محمود، و ظروف توليه العرش، و ناقشت الأسباب التي دفعت سبكتكين، لتولية إبنه الأصغر العرش، مستثنيا محمود من ذلك رغم كفاءته، و جدارته، مقارنة بأخيه إسماعيل، و تناول هذا الفصل أيضا، سيطرة

محمود على خراسان، و انهيار الدولة السامانية. أما محور البحث و عموده فخصصته لدراسة فتوح السلطان محمود، و حملاته في شبه القارة الهندية، إبتداءا، من الحملة الأولى سنة 390هـ/999م و حتى حملته الأخيرة سنة 417هـ/1026م، مع بيان، و إبراز أهم الآثار الدينية و الاجتماعية أولا ثم الآثار الثقافية و العلمية ثانيا لتوضيح أن الفتح الغزنوي لشمال شبه القارة الهندية لم يكن فتحا عسكريا فحسب بل كان إلى جانب ذلك فتحا حضاريا.

دراسة المصادر:

تكمن أهمية المصادر التي اعتمدت عليها في هذا البحث، بأن عددا من مؤلفيها، عاصرو تلك الفترة، و كانوا على صلة وثيقة بكبار رجال الحكم، بمعنى، أنهم كانوا شهود عيان معاصرين لكثير من الأحداث، و أول هذه المصادر هو: تاريخ اليميني لأبي نصر محمد بن عبد الجبار العتبي، المتوفى سنة 428هـ/1036م، الذي كان مؤرخا للبلاط الغزنوي و سمى كتابه بـ: "اليميني " نسبة إلى لقب السلطان محمود (يمين الدولة) و ترجع أهمية هذا الكتاب أن مؤلفه شغل وظيفة كاتب السلطان محمود، و سفيره، و أنه عاصر كل من الأمير سبكتكين، المؤسس الحقيقي للدولة، و ابنه محمود، و ترجم هذا الكتاب لسبكتكين، و أوضح دوره في ترسيخ دعائم الدولة الغزنوية و توسيع رقعتها، ثم عرض بالتفصيل لتاريخ السلطان محمود، و تحدث عن سياسته الداخلية و الخارجية، فضلا عن تدوينه لحملاته و فتوحاته في شبه القارة الهندية، حتى سنة 409هـ/1018م و لا نعلم لماذا توقف العتبي، عند هذا التاريخ. و جاء كتابه في أسلوب أدبي قصصي كان سمة من سمات كتابات ذلك العصر، خصصه صاحبه، لمدح السلطان محمود، و بعض رجاله، و تمجيد فتوحاته، و على الرغم من ذلك، فالكتاب يعتبر مصدرا رئيسا، و هاما، لتاريخ الدولة الغزنوية منذ نشأتها و توسعها.

و من المصادر الأساسية المهمة أيضا، كتاب "زين الأخبار" لأبي سعيد عبد الحي الضحاك بن محمود الكرديزي، المتوفى سنة 422هـ/1050م و تكمن أهمية هذا الكتاب في معاصرة مؤلفه لأحداث عصر السلطان محمود، و يتضح ذلك في قول الكرديزي عند مطلع حديثه عن عهد السلطان محمود: "...و لكن الأخبار عن يمين الدولة محمود، رأيت أكثرها رأي رأى العين، ماذا فعل الأمير محمود رحمه الله في والهندوستان؟ ماذا فعل في النمروز (سجستان) و خراسان و خوارزم؟ و كيف فتح العراق العجمي، و بأي طريق قطع الصحاري و عبر الفيافي، و صعد الجبال، و طو ى الطرق الوعرة المخيفة، و كيف حارب، و كيف قهر عظماء الهنود...".[1]

يحتوي هذا الكتاب على جوانب متنوعة، و ا تجاها ت متعددة، ففيه التاريخ، و الآثار و الأعياد، و العادات، و التقاليد، و الأنساب، و المعارف.

عاش الكرديزي في غزنة، و كتب مصنفه، و سماه "زين الأخبار" تيمنا بالسلطان الغزنوي عبد الرشيد الملقب بزين الملة.[2]

و هو مكمل لبعض ما لم يذكره البيهقي، بالنسبة للأحداث التاريخية، و خاصة علاقة الغزنويين بكل من السلاجقة و القراخانيين. هذا و قد قامت الدكتورة عفاف السيد زيدان بترجمته عن الفارسية إلى العربية.

و من بين المصادر الأساسية التي اعتمدت عليها هذه الدراسة كتاب "تاريخ البيهقي" لأبي الفضل محمد بن حسين البيهقي المتوفى سنة 440هـ/1077م وتاريخ البيهقي، هو كتاب كبير، فيه أكثر من 700 صفحة، سجل فيه تاريخ عصره، و جاء مدعما بالوثائق التي كانت في متناول البيهقي، بحكم منصبه، إذ كان يشغل منصب نائب رئيس ديوان الرسائل،

---

[1]-الكرديزي، زين الأخبار، ص 238.
[2]-عفاف زيدان، مقدمة زين الأخبار الكرديزي، ص 25.

خلال عهد السلطان محمود و ابنه مسعود، ثم تولى رئاسة الديوان في عهد عبد الرشيد بن محمود، و قد قام الدكتور يحي الخشاب، و الأستاذ صادق نشأت بترجمة هذا الكتاب عن الفارسية.[1]

و يعد كتاب "سياست نامة" أو "سير الملوك" للوزير نظام الملك الطوسي، الذي قتل سنة 475هـ/1092م، من المصادر المهمة التي أفادت هذا البحث، و قد ألف نظام الملك كتابه خلال وزارته الطويلة للسلطان السلجوقي ملك شاه، باللغة الفارسية، عرض فيه آراءه، في إقامة الدول و تنظيمها مع الشواهد التاريخية، و ترجع أهمية هذا الكتاب لاحتوائه على ثروة من المعلومات، عن نظم الحكم و الإدارة، في العهدين، الغزنوي، و السلجوقي، فضلا عن أنه أمدنا بمعلومات قيمة، عن نشأة الدولة الغزنوية، و جهود المملوك البتكين في ذلك، و أورد معلومات تتعلق بالجيش الغزنوي، و ترتيب وظائف العبيد و الخدم، منذ بداية التحاقهم في سلك الخدمة في بلاط الأمراء، و مراحل تدرجهم في الوظائف، حتى تقلدهم قيادة الجيوش أو الحجابة. كما أورد بعض المعلومات المهمة، عن علاقة السلطان محمود مع إدارة الخلافة العباسية، و كذلك عن خروج أرباب المذاهب الدينية عن طاعة ولاة الأمر خاصة في خراسان، و بلاد ما وراء النهر. هذا و قد ترجم الدكتور حسين بكار هذا الكتاب إلى العربية و علق عليه فضلا عن تصحيح معظم الأخطاء التاريخية التي وقع فيها نظام الملك.[2]

أما كتاب "الكامل في التاريخ" لمؤلفه أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بـ (ابن الأثير) فإنه من المصادر التي لا غنى عنها لأي باحث و على الرغم من أن الكامل، يعد من المصادر العربية في التاريخ العام ،إلا أنه احتوى على معلومات وافية عن فتوح السلطان محمود، في شبه القارة الهندية، و دون معلومات مهمة عن علاقة

---

[1] يحي الخشاب، مقدمة تاريخ البيهقي، ص 5- 6.
[2] غلام حسين يوسفي، مقدمة كتاب سياست نامة.

السلطان محمود بالقوى السياسية الأخرى في بلاد المشرق، و من أبرز خصائص هذا المصدر هو عرضه للأحداث التاريخية عرضا مبسطا و مترابطا، و ذلك بانتهاجه منهج الموضوع الواحد، في إطار حولي ،و قد عرف عن ابن الأثير دقة معلوماته و شمولها.

كما كان لكتب البلدان و الجغرافيا أهمية كبرى في إغناء هذا البحث خاصة في مجال ضبط الأقاليم و المدن و منها على سبيل المثال "معجم البلدان" لياقوت الحموى و كتاب "أثار البلاد و أخبار العباد"لزكريا بن محمد القزويني و كتاب "المسالك و الممالك" لمؤلفه أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الإصطخري، و قد احتوت هذه المصادر على بعض الحقائق التاريخية المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها أيضا.

ثانيا: المراجع

اعتمدت في هذا البحث على العديد من المراجع العربية و التي أسهمت في إضافة الكثير من الأفكار و إثراء موضوع البحث بمعلومات قيمة، و أهم هذه المراجع هو كتاب بلاد الهند في العصر الإسلامي للأستاذ الدكتور عصام الدين الفقى و كتاب تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية و حضارتهم لأحمد محمود الساداتي و كتاب خراسان في العهد الغزنوي للدكتور محمد حسن العمادي و كتاب السلطان محمود الغزنوي سياسته و دوره في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية لفريد محمد علي.

اعتمدت أيضا على العديد من المراجع الأجنبية الحديثة و التي أسهمت في إضافة الكثير من المعلومات و الوضوح لموضوع البحث أهمها مؤلفات المستشرق الروسي بارتولد مثل كتاب تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي الذي احتوى على معلومات مهمة جدا عن نشأة الدولة الغزنوية، و مراحل تطورها، و من المراجع التي أفادت موضوع البحث أيضا كتاب حضارات الهند، للمستشرق غوستاف لوبون خصوصا ما يتعلق بأوضاع الهند الدينية و الاجتماعية و كذلك فتوح السلطان في الهند.

كما كان لكتاب توماس أرنولد الشهير، الموسوم بالدعوة إلى الإسلام، دور مهم في إثراء هذه البحث، خصوصا عند دراسة الآثار الدينية لحملات السلطان محمود، و فتوحاته في الهند، إذ أورد معلومات ذات قيمة كبيرة، عن الوسائل و الطرق التي إ نتشر بها الإسلام في الهند. مؤ كدا، أن الفاتحين المسلمين، كانوا يدعون الهنود إلى الإسلام سلميا، قبل الدخول معهم في معارك حربية.

مما ينفي عن السلطان محمود اعتماده على حد السيف وحده، دون دعوة أهل البلاد المفتوحة للدخول في الإسلام بالطرق السلمية.

و من المراجع الأجنبية أيضا كتاب المستشرق

LONE-POOL" Medieval india under Mahumedan rule"

BOSWORTH"The Ghaznavids their empire in Afghanistan" and eastern Iran 994-1040 Edinburgh, 1963.

والتي تعاملت معها بتحفظ شديد وعلى نطاق محدود لعدم ثقتي في لغتي الانجليزية.

المعاجم و الدوريات و الرسائل العلمية:

أسهمت العديد من المراجع المتخصصة في إثراء موضوع هذا البحث و توضيح بعض المصطلحات، و في مقدمة هذه المراجع كتب المعاجم و المصطلحات الحديثة و الألقاب التاريخية مثل معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية لمؤلفه الدكتور مصطفى عبد الكريم الخطيب.

كما استفاد موضوع البحث من بعض البحوث المنشورة في بعض الدوريات العلمية نذكر منها على سبيل المثال بحث الدكتور أحمد الجوارنة عن دور السلطان محمود في نشر الإسلام السني في أواسط آسيا، إيران، أفغانستان و الهند.

أما عن الرسائل الجامعية فقد ساهمت هي الأخرى بدورها في إثراء موضوع البحث بمادة علمية موثقة لا غنى لأي باحث عنها أذكر منها رسالة ماجستير بعنوان "السلطان محمود الغزنوي عصره و سياسته" لخديجة ثلجوم بجامعة الجزائر 2 و كذلك رسالة ماجستير بعنوان "العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية" لإيمان علاء الدين إبراهيم بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

وختاما ا توجه بالشكر الجزيل للأستاذ رابح أولاد ضياف الذي قبل الإشراف على انجاز هذا العمل، بطيبة قلب، ورحابة صدر، فله مني كل الشكر والتقدير والاحترام .

الفصل الأول

الدولة الغزنوية نشأتها و أحوالها السياسية

1- ظروف نشأتها

2- آل البتكين ودورهم في نشأة الدولة الغزنوية

3- ولاية سبكتكين وفتوحاته

4-علاقة سبكتكين بالسامانيين و أعماله في خراسان

I -ظروف نشأتها:

في مستهل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، تعرضت الخلافة العباسية، إلى كثير من الاضطرابات السياسية، منذ أن استأثر الأتراك بالسلطة دون الخلفاء، وأصبح الخليفة في أيديهم كالأسير، إن شاءوا أبقوه، وإن شاءواخلعوه، وإن شاءوا قتلوه[1].ولعل أصدق وصف لتلك الحالة التعيسة، التي مر بها الخلفاء العباسيون، في تلك المرحلة السالفة الذكر، هو قول الشاعر العلوى دعبل الخزاعي المتوفى سنة (246ه/860م)ـ[2]

خليفة مات لم يحزن له أحد وآخر قام، لم يفرح به أحد

فمرذاك ومر الشؤم يتعبه وقام هذا فقام النحس والنكد

أخذت الشعوب التي غلبت على أمرها، كالعرب، والفرس، تعمل على استرداد نفوذها. واشتدت رغبات الطامحين في الحكم، والاستقلال ببلادهم، وفصلها عن جسم الدولة العباسية[3]. وإستطاع طاهر بن الحسين[4] تحقيق حلم الفرس، في تكوين أول دولة شبه مستقلة لهم في المشرق الإسلامي.

---

[1] ابن طباطبا، محمد بن على، المعروف بابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ص 243.

[2] العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ص 125.

[3] طلس، محمد أسعد، تاريخ العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت المجلد الثاني، الجزء السادس ص 14.

[4] طاهر بن الحسين، أحد أبرز قادة الخليفة العباسي المأمون وموضع ثقته، منحه الخليفة حكم البلاد الواقعة إلى الشرق من بغداد مكافأة له على جهوده التي بذلها في سبيل نصرة المأمون على أخيه الأمين أثناء الحرب التي دارت بينها سنة (198/195)ه، أنظر الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية الجزء الثامن من ص 577، 580.

فسيطر على خراسان[1]، واتخذ من نيسابور[2] عاصمة له.[3]ثم قامت الدولة الصفارية في سجستان[4] (254-290ه/868-902م).[5] وهي أول الدويلات التي استقلت في المشرق استقلالا حقيقيا عن دولة الخلافة.[6]وما إن حل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، حتى ساد الانقسام المشرق الإسلامي كله فسيطر البويهيون[7] على فارس،والري[8] واصبهان[9] وبلاد الجبل[10] ثم دخلت بغداد تحت سيطرتهم سنة (334ه-

---

[1] خرسان، بلاد واسعة معناها البلاد الشرقية، كانت تنقسم إلى أربعة (أرباع) كل ربع ينسب إلى إحدى المدن الكبرى التي: كانت عواصم الإقليم وهذه المدن هي، نيسابور، مرو، هراه، بلخ، كانت مقرا للدعوة العباسية، أنظر الحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت 1977، المجلد الثاني ص 350.

[2] نيسابور، مدينة من مدن خراسان، ذات فضائل جمة وعمارة، كثيرة الخيرات، والفواكه والثمرات، كانت مجمع العلماء ومعدن الفضلاء، أنظر القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت ص 73.

[3] ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ،راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق،دار الكتب العلميةبيروت، ط01، 1987، مجلد05 ص454ومابعدها

[4]سجستان، بكسر أوله وثانية، ناحية كبيره وولاية واسعة جنوبي هراة عاصمتها زرنج، أنظر الحموي، المصدر السابق المجلد الثالث ص 190.

[5] مؤسس هذه الدولة هو يعقوب بن الليث الصفار أحد زعماء المتطوعة منذ 237ه/851م لحرب الخوارج بسجستان، لقب بالصفار لأنه كان يشتغل بصناعة الصفر (النحاس) ولم يلبث يعقوب بكفاءته وقوة شخصيته أن صار زعيما لفرقه المتطوعة وواليا على سجستان والمناطق المجاورة، فقوى نفوذه وأعلن قيام دولته أنظر،ابن الأثير المصدر السابق، المجلد السادس ص 193.

[6] طلس محمد أسعد، المرجع السابق ص 22.

[7]البويهون، يرجع أصلهم إلى رجل فارسي يدعى بويه من إقليم الديلم في جنوب غرب بحر قزوين قامت دولتهم على أكتاف أولا دبويه الثلاثة، علي عماد الدولة- والحسن ركن الدولة- وأحمد معز الدولة، اشتغلوا جميعا في خدمة مرداويج بن زيار الديلمي، أنظر إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي، السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب بيروت الطبعة الأولى ص 152.

[8]الري، مدينة مشهورة من أمهات البلاد، وأعلام المدن عاصمة اقليم الجبال، تبعد عن نيسابور بحوالي 160 فرسخا الحموي، المصدر السابق، المجلد الثالث ص 116.

[9]اصبهان إحدى نواحي بلاد الجبل، الحموي، المصدر السابق، المجلد الأول ص 206.

[10] بلاد الجبل إقليم واسع يحده من الشرق خراسان وفارس واصبهان ومن الغرب أذربيجان ومن الشمال الديلم وقزوين والري أنظر الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك تحقيق محمد جابر عبد العال الحسني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة 1961م، ص 145.

945م). وبسطت الدولة السامانية (261-389ه/874-999م) سيطرتها على بلاد ما وراء النهر،[1] وخراسان، وإقليم فارس إلى كرمان[2]. [3]إلى جانب هاتين الدولتين الكبيرتين، كانت هناك بعض الإمارات الصغيرة، التي تتمتع بما يشبه الاستقلال الذاتي، مثل إمارة سجستان، وكان يحكمها بقايا من بني الصفار، وإمارة طبرستان،[4]وكان يحكمها بقايا الأسرة الزيارية،[5] وإمارة خوارزم،[6] وتحكمها أسرة آل مأمون.[7]وكانت هذه الدول في صراع فيما بينها، فكل واحدة منها كانت تريد أن تتوسع إلى مناطق أكبر، ولا شك أن ذلك قد أضر كثيرا بوحدة الدولة الإسلامية، إلا أنها في الوقت نفسه، قامت بدور إيجابي في نشر الإسلام، فيما وراء الحدود الإسلامية، في آسيا، وإفريقيا، وأوروبا. فضلا عن أن تنافسها فيما بينها، قد ساعد على ازدهار الحضارة الإسلامية في تلك

---

[1]بلاد ما وراء النهر، ماوراء نهر جيحون وكانت تسمى بلاد الهياطلة وبعد ظهور الإسلام سموها بلاد ما وراء النهر وهو إقليم من أخصب أقاليم الأرض، الحموى، المصدر السابق، المجلد الخامس، ص 45.

([2]) كرمان ،ولاية مشهورة وواسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، الحموى المصدر السابق، المجلد الرابع ص 454- 456.

([3]) النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر، تاريخ بخاري ،عربه عن الفارسية وقدم له وحققه وعلق عليه الدكتور أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، ط3 دار المعارف، القاهرة ص 129.

[4] طبارستان، بلدة واسعة تغلب عليها الطبيعة الجبلية تقع بين الرى وقومس والبحر وبلاد الديلم والجبل، الحموى، المصدر السابق الجزء 4 ص 13.

[5] مؤسس هذه الإمارة هو مرداويج بن زيار الديلمى الذي قوى أمره وعظمت جيوشه واستولى على بلاد الجبل والرى، طبرستان وجرجان وهمدان واصبهان وغيره، أنظر على ظريف الأعظمى الدول الفارسية في العراق، مطبعه الفرات بغداد 1927 ص 24.

[6] خوارزم، اسم لناحية كبيرة عاصمتها الجرجانية، وأهلها يسمونها كركانج وتقع على نهر جيحون، أنظر الحموي المصدر السابق المجلد الثاني ص 395.

[7] حكمت هذه الأسرة بلاد خوارزم، بدأو حياتهم ولاة تابعين للسامانين وفي الفترة مابين سقوط الدولة السامانية وقيام الدولة الغزنوية كانوا شبه مستقلين ثم عادوا حكاما تحت حماية الغزنويين، ولا يعرف مؤسس هذه الدولة على وجه التحديد ولكن إسميم يرد في التاريخ منذ سنة 380ه/990م، على محمد فريد مفتاح، فاتح شمال شبه القارة الهندية، السلطان محمود الغزنوي، دار جامعة عدن للطباعة والنشر الطبعة الأولى، 2006 ص 37.

الجهات، وظهور مراكز حضارية فيها، كانت قبله أنظار العلماء والتجار والشعراء، مثل بخاري وسمرقند والفسطاط وقرطبه وفاس وغيرها[1].

وبما أن تاريخ الدولة الغزنوية قد ارتبط ارتباطا وثيقا بالدولة السامانية، بل أن الدولة الغزنوية هي وليدة الدولة السامانية، لذلك لابد أن استعرض بشكل موجز،تاريخ الدولة السامانية، واحوالها السياسية، مسلطا الضوء على الثورات والاضطرابات،التى رافقتها منذ نشأتها،والتى ادت في نهاية المطاف، الى افولها وبزوغ نجم الدولة الغزنوية وانفصالها عنها.يرجع نسب السامانيين إلى إحدى الأسر الفارسية العريقة،التى انحدرت من صلب رجل يدعى سامان خداه،[2] الذي يتصل نسبه ببهرام جوبي،[3] القائد العسكري الشهير، أسلم سامان على يد أسد بن عبد الله القسري[4]والى الأمويين على خراسان فسمى ابنه أسدا تيمنابه[5]. وكان لأسد ابن سامان أربعة أبناء وهم نوح وأحمد ويحى وإلياس، دخلوا في خدمة الخليفة العباسي المأمون وأخلصوا له، فولاهم على سمرقند[6]وفرغانه[7] والشاش[8]

---

(1) العبادي، أحمد مختار، المرجع السابق ص 127..

(2)سامان، قرية من قرى بلخ وسامان معناه المالك سامان لأن خداه بالفارسية تعنى المنك، الحموي المصدر السابق، المجلد الثالث ص، 173.

(3) بهرام جوبي، أحد أبرز القادة العسكريين الساسانيين ينتسب إلى أسرة الملك الساساني أفريدون أنظر الكرديزي، أبو سعيد الضحاك ابن محمود، زين الأخبار، ترجمة عن الفارسية عفاف السيد زيدان الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريةKitabweb-2013Forumaroc.netص 208.

(4)اسد بن عبد الله القسري ولد ونشأ بدمشق، ولاه أخوه خالد بن عبد الله خراسان سنة (106ه/724م) فأقام بها زمنا وجدد بناء بلخ وإختارها مقرا لإقامته توفي ببلخ سنة (120ه/737م) الطبرى، المصدر السابق ، الجزء السابع ص 37.

(5) النرشخى، المصدر السابق ص111.

(6)سمرقند، بلدة مشهورة ببلاد ماوراء النهر عاصمة لإقليم الصغد الذي يقع جنوبي وادي الصغد خلف نهر جيحون، القزويني، المصدر السابق ص 535.

(7)فرغانة،مدينة وكورة واسعة ببلادها ما وراء النهر على حدود شركس، الحموى، المصدر السابق، مجلد 4 ص 253.

(8) الشاش، ناحية بما وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك، القزويني، المصدر السابق، ص 538.

وهراة[1] وكان ذلك سنة (202ه/817م).[2]عمر أحمد أكثر من إخوته فصار إليه حكم سمرقند وهراة والشاش بالإضافة إلى فرغانه وكل مدن إقليم ما وراء النهر.[3]مات أحمد سنة (251ه/865م) فخلفه ابنه نصر، الذي لعب دورا كبيرا في توطيد أواصر الصلة بين أفراد البيت الساماني. وكان لهذا أثره البالغ في تعزيز أركان الدولة السامانية، فساد الأمن والسلام في البلاد، بعدان كانت تعاني من الفوضى والاضطرابات.[4]وبلغت الدولة السامانية أوج قوتها، في عهد إسماعيل بن أحمد، الذي كان على جانب كبير، من حسن السياسة والدهاء والإدارة ،فتوطدت أركان الدولة في عهده، واتسع نطاقها حتى بلغتأقصى حدود المشرق.[5]فقضى على عمر بن الليث الصفار، أمير خراسان، كما قضى على محمد بن زيد العلوي، صاحب طبرستان.[6]وقد سر الخليفة العباسي المعتضد لذلك سرورا كبيرا، وأرسل رسوله إلى خراسان،ومعه عهد خراسان، والتاج، والخلع الكثيرة، إلى إسماعيل بن أحمد في سمرقند، سنة(288ه/900م). فصارت خراسان، وما وراء النهر، وتركستان[7]، والسند والهند وجرجان[8] تابعة له. فأصبحت الدولة السامانية دولهمترامية الأطراف مهابة الجانب[9].

---

(1) هراة، مدينة عظمى بخراسان، الحموى، المصدر السابق ، المجلد 5 ص 396.

(2)النرشخي، المصدر السابق ص 112.

(3) بارتولد، فاسيلي فلا ديميروفيتش، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب الكويت 1401ه/1981 م ص333.

(4) العمادي،محمدحسن،خراسان في العهد الغزنوي،مؤسسة حمادة للخدمات،اربد،الاردن 1997ص15

(5)بارتولد، المرجع السابق ص 233.

(6) ابن اسفنديار، بهاء الدين محمد بن حسن، تارخ طبرستان، ترجمة أحمد محمد نادي، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة 2002 ص 260 ومابعدها.

(7) تركستان، إسم جامع لجميع بلاد الترك، الحموى، المصدر السابق، المجلد 2 ص 23.

(8) جرجان، مدينة عظيمة مشهورة بين طبرستان وخراسان وقيل أن أول من بناها هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرد وقد خرج منها خلق من الفقهاء والأدباء والعلماء، الحموى، المصدر السابق مجلد 2 ص 119.

(9) علي محمد فريد مفتاح، المرجع السابق ص 39.

كان السامانيون يتمتعون بالاستقلال الذاتي عن الحكومة المركزية، حيث كانوا هم الذين يولون ولاة الأقاليم أو يعزلونهم من مناصبهم، إلا أن ذلك لم يمنع، أن تكون العلاقة بين إسماعيل والخلافة العباسية تقوم على أساس المودة والاحترام، نتيجة للموقف الحازم الذي وقفه إسماعيل ضد كل الحركات السياسية والمذهبية التي كانت تضر بمصالحة، وتهدد سلطته الشرعية في البلاد، التي يحكمها باسم الخليفة العباسي في بغداد، وكثيرا ما كان الخلفاء العباسيون يلجأون إلى إسماعيل في إقرار سلطانهم في بلاد المشرق، كما اعتمدوا على إبنه أحمد الذي خلفه في الحكم فيما بعد.[1] ولما مات إسماعيل تولى مقاليد الأمور في الدولة السامانية ابنه أحمد بن إسماعيل، الذي ورث دولة، بلغت من القوة حدا جعلت من الدولة العباسية تستعين بها في قمع الثورات ومواجهة التمردات.[2] ولكن خلال فترة حكم الأمير احمد تعرضت الدولة السامانية لكثير من الأخطار في الداخل ومن الخارج، ففي الداخل انقسم البيت السامانى على نفسه، طمعا في الملك والسيادة، وبرز ذلك من خلال محاولة عمه إسحاق بن أحمد والي سمرقند، الخروج عليه واستقطاع جزء من دولته،لكن الأمير أحمد تمكن من القضاء على هذه الفتنة، ويعيد الأمن والهدوء إلى سمرقند— وفي عهده أيضا تعاظم نفوذ الأتراك في العاصمة بخاري والأقاليم الأخرى[3]. أما الأخطار الخارجية فتمثلت في حركة الأمير الحسن بن علي الزيدي الملقب بالأطروش الذي استولى على طبرستان، وبلاد الديلم، وكان له دور كبير في دخول قبائل هذه المناطق إلى الإسلام، ثم سرعان ما ألتف أهل هذه البلاد حوله وقاموا بطرد والى السامانيين منها[4].كان الأمير أحمد في رحلة صيد على شواطئ نهر جيجون سنة (301ه/913م) لما وصلته رسالة واليه على طبرستان يخبره فيها بخروج الأطروش واستيلائه على

---

(1) العمادي، المرجع السابق ص ص 16،17، بارتولد المرجع السابق ص 253.

(2) النرشخي، المصدر السابق ص 131، العمادي المرجع السابق ص 17.

(3) الكرديزي، المصدر السابق ص 210.

(4) النرشخي، المصدر السابق، ص 131.

طبرستان، وفي الليلة نفسها دخل عليه جماعة من غلمانه، وقطعوا رأسه ليلة الخميس ١ أ جمادى الآخرة سنة 301 ه 24 جانفي 914م ولقب بالأمير الشهيد[1].بعد اغتيال الأمير احمد بن إسماعيل، قام الأمراء وقادة الجيش بمبايعة ابنه نصر أميرا للدولة السامانية (301-331ه/914-943م)، وهو في الثامنة من عمره، وتولى الوزير أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني، تدبير أمور الدولة، وكان رجلا عاقلا، أحسن سياسة الدولة وضبط أمورها[2]. إلا أن تنافس أمراء البيت السامانى، للوصول إلى الحكم، قد سبب بعض الاضطرابات، فكان عم والده إسحاق بن أحمد أول من شق عصا الطاعة في سمرقند، وذلك بمؤازرة بعض أفراد أسرته، باعتباره اكبر افراد الاسرة سنا، وكذلك محاولة ابنه، ابي صالح منصور بن اسحاق ،الاستيلاء على نيسابور وبعض مدن خراسان، ولكن الأمير نصر بن أحمد، استطاع أن يضع حدا لهاتين الثورتين، ويعيد إلى دولته البلاد التي انفصلت عنها.[3]ثم جاء تمرد الولايات الأخرى، وأراد حكامها الاستقلال بولاياتهم، فخرج أهل سجستان، وصاحب طبرستان، عن طاعة الأمير نصر بن أحمد، واتخذ غيرهم من القادة من مدن خراسان قاعدة لمحاربة الدولة السامانية، وقد تمكن الأمير نصر من القضاء عليهم والظفر بهم جميعا،إلا أن هذه الثورات، والحركات الانفصالية، قد أنهكت حكومة بخاري، وكلفتها الكثير.[4]فما أن هلك نصر سنة (331ه/943م) حتى استقل كل أمير بما تحت يده من أقاليم.[5]

---

[1] الكرديزي، المصدر السابق ص 212.

[2]النرشخي، المصدر السابق ص 133 على محمد فريد، المرجع السابق ص 41.

[3]النرشخي، المصدر السابق ص 133، الكرديزي المصدر السابق ص 213.

[4]فامبري، أرمنيوس، تاريخ بخاري، ترجمة أحمد محمود الساداتي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة ،ص ص 114 ، 115.

[5]النرشخي، المصدر السابق، ص ص133، 137.

وعندما تولى العرش السامانى، الأمير نوح بن نصر، ولقب بالأمير الحميد (331-343ه/943-954م) وتسلم العهد واللواء من الخليفة العباسي المتقي،[1] لم تهدأ الولايات السامانية من الاضطرابات السياسية، خاصة في إقليم خراسان، وذلك لكثرة الطامعين في ولاية هذا الإقليم، فخرج الأمير نوح إلى مرو، ومنها إلى نيسابور، وبقي فيها يتابع الأحداث لسياسية، ويتفقد أحوال الرعية هناك،فقام بعزل ابو علي الأصفهاني،[2] أمير خراسان بعد أن اشتكت الرعية من سوء خلقه، ومن طول يدنوا به، وأجلس مكانه إبراهيم بن سيمجور[3].وفي سنة 335ه/947م تحرك للقضاء على حركة تمرد أخرى، قادها عمه أبو إسحاق بدعم من أمير خراسان السابق، فاشتبك الطرفان في معركة، انتهت بهزيمة الأمير نوح، وتقهقره إلى بخاري، بسبب خيانة بعض قادة جيشه ورجال بلاطه.[4] وتتبع أبو إسحاق ابن أخيه نوح بن نصر حتى بخاري، وفي جمادى الأخرة سنة(335ه/946م)بايعه أهل بخاري، وقرئت الخطبة باسمه ،على جميع منابر بخاري، وفر نوح هاربا إلى سمرقند، وكاد يفقد عرشه، لولا أن حالفه الحظ، فدب الخلاف بين خصميه، ونتج عن ذلك عودة الوئام بين الأمير نوح وعمه أبي إسحاق من جديد، ليعود نوح إلى عرشه في بخاري.[5]

---

(1) ابن العبري، غريغوريوس، أبو الفرج ابن هارون، تاريخ مختصر الدول، صححه وفهرسه الأب أنطوان اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت 1983 ص 287.

(2) أحمد بن أبي بكر بن المظفر بن محتاج تولى خراسان في عهد الأمير نصر بن أحمد سنة 327ه/938م واستمر واليا عليها حتى عزله الأمير نوح بن نصر سنة 333ه/944م أنظر ابن الأثير المجلد 7 ص 145.

(3) زعيم الترك في البلاط السامانى، تولى خرسان سنة 335ه/945م، أساء للجند في معاملاتهم وأرزاقهم مما دفعهم إلى مبايعة إبراهيم بن أحمد عم الأمير نوح توفى سنة 337ه/948م أنظر ابن الأثير، المصدر السابق، المجلد 7 ص 212.

(4)النرشخي، المصدر السابق ص 137..

(5)بارتولد، المرجع السابق ص 378، العمادي، المرجع السابق ص 25.

كان على الأمير نوح أن ينهي صراعه مع أبي علي الأصفهاني، فتصالح معه وأعاد له ولاية خراسان، وقلده قيادة جيوشها. وقدم إليها سنة 343ه/951م، واستطاع أبو علي أن يعيد النظام إلى خراسان وخوارزم، وبدأ الحرب ضد الحسن بن بويه الذي كان بالري، وانتهت الحرب بعقد صلح يدفع بموجبه الحسن بن بويه مائتي ألف دينار كل عام، مما أثار سخط الأمير نوح فعزل أبا علي، وعين مكانه أبا سعيد بكر بن مالك، ولكن قبل أن يسافر الأخير إلى مقر عمله توفى الأمير نوح بن نصر في ربيع الثاني سنة 343ه/945م.[1]فخلفه ابنه عبد الملك على العرش، فقام عبد الملك بتنصيب أبا منصور محمد بن عزيز وزيرا له[2]. وأوفد أبا سعيد بكر بن مالك إلى نيسابورا قائدا لجيوش خراسان، واستطاع هذا الأخير هزيمة أبا على الأصفهاني وإعادة هذا الإقليم إلى السلطة السامانية. عمل الأمير عبد الملك جاهدا على إزالة الاضطرابات السياسية من دولته، الا انها مالبثت ان تجددت بسبب سلوك بكر بن مالك والي خراسان الذي عامل الحرس باحتقار، وأهمل مطالبهم، وقصر في تلبية حاجاتهم فحقدوا عليه وانتهى الأمر بمصرعه في رمضان(345ه/ ديسمبر 956م)على يد قائد الحرس البتكين[3] عند باب قصر الأمير.[4]

---

[1]النرشخي، المصدر السابق ص137، بارتولد المرجع السابق 281.

[2]محمد بن عزيز، تولي الوزارة في مطلع عهد الأمير عبد الملك بن نوح وتم عزله بضغط من كبير الحجاب أنظر: الكرديزي المصدر السابق، ص 222 بارتولد، المرجع السابق ص 382.

[3] كلمة مركبة من (ألب) بمعنى البطل، وتكين بمعنى المسمى، والكلمة الأخيرة وصحتها (تكن أوتكين أوتين) ما تزال تروج كاسم علم بين التركمان فنجد كلمة تكين تلحق بكثير من الأسماء التركية مثل: قرة تكين، سبكتكين، أنظر، فامبرى، المرجع السابق ص 117، العمادي المرجع السابق ص 26. علي محمد فريد، المرجع السابق ص 44.

[4]الكرديزي، المصدر السابق ص 223.

2-آل البتكين ودورهم في نشأة الدولة الغزنوية:

قبل الحديث عن آل البتكين ودورهم في نشأة الإمارة الغزنوية،لابد من الإشارة إلى الدور الكبير الذي لعبه السامانيون في الأقاليم الإسلامية، فمن الناحية السياسية حافظوا على الثغور الإسلامية في المشرق، كما مدوا النفوذ الإسلامي إلى بلاد الترك البعيدة، وجعلوا من بيئة ما وراء النهر بيئة صقل وتهذيب للعنصر التركي، الذي أسلم على أيدي السامانيين، وبدأ يتحول إلى عنصر مفيد للدولة الإسلامية، وانبثق عن التأثير السامانى ذلك الدور الذي تهيأ للترك الغز، في خدمة الخلافة العباسية، في العصر السلجوقي، بقضائهم على الدولة البويهية، التي اتخذت من بغداد مقرا لمحاربة الخلافة العباسية، والمسلمين في المشرق الإسلامي، كما انبثق عن النفوذ السامانى الدولة الغزنوية وهي دولة تركية، اتخذت من خراسان والثغر الهندي مركزا لها، وعملت باسم السامانيين ثم حلت محلهم[1]. أما عن دورهم الحضاري فإن بلاط السامانيين في بخاري، كان بمثابة المجد، وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض، وموسم فضلاء الدهر، وكانت مكتبة نوح بن نصر السامانى كما يقول ابن خلكان " عديمة المثل" فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدي الناس، وغيرها ما لا يوجد في سواها، ولا سمع باسمه فضلا عن معرفته.[2]

ورغم أن السامانيين أصلهم فارسي، إلا أنهم جعلوا معظم جيوشهم من المماليك الأتراك[3]وقد بين لنا نظام الملك[1] مدى عنايه الدولة السامانية بالمماليك والاعتماد عليهم

---

[1] العمادي، المرجع السابق ص 18.

[2]حسن احمد محمود واحمد الشريف،العالم الإسلامي في العصر العباسي،القاهرة،الطبعة الخامسة ص470

[3] العبادي، أحمد مختار، قيام دولة المماليك في مصر والشام، الإسكندرية 1982م، ص 22.

في الجيش وشؤون الدولة بصفة عامة[2]، ومما يدل على ذلك قول الأمير نصر بن أحمد الساماني عندما خاطب رجال دولته قائلا: (اتخذوا المماليك وأحسنوا تربيتهم فهم أولاد يريدون والدهم، لأن التسلط على المماليك من عجز المقدرة...إنما يجب الرفق، بهم والإحسان إليهم والتوسعة في نفقتهم، وإطعامهم مما تأكلون، والنهي عن ضرب الوجه وعن المثلة في العقوبة).[3]وكان لهذا أثره في إضعاف دولتهم، والتعجيل بزوال ملكهم، ذلك أن هؤلاء الأتراك مالبثوا أن تقلدوا المناصب العليا في الجيش والإدارة، وأصبحوا خطرا عليهم، بسبب السلطات الواسعة التي استأثروا بها.6 ومن أبرز هؤلاء الأتراك الذين علا شأنهم في الدولة السامانية، المملوك البتكين مؤسس مملكه غزنه[4] إلى ينتمي إليها الغزنويون.

أ- البتكين

ولد سنة (267ه/880م)، بدأ حياته كعبد للأمير الساماني أحمد بن إسماعيل، ثم تدرج في حرسه الخاص، وأصبح حرا بعد أن أعتقه الأمير نصر بن أحمد، وأخذ يتدرج في المناصب والمراتب العسكرية حتى تولى القيادة العليا للجيش بخراسان، في عهد الأمير

---

(1) نظام الملك الطوسي(408-485/ 1018 -1092م) الملقب بقوام الدين، أشهر وزراء السلاجقة لقب بالسياسي العجوز ويعزى إليه تأسيس المدارس النظامية، نظامية نيسابور ونظامية بغداد سنة 459ه/1067م للمزيد من التفاصل أنظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 198.

(2) الطوسي، نظام الملك، الحسن بنعلي بن إسحاق، سياست نامة، ترجمة يوسف بكار، مطبعة السفير، عمان، الأردن2012 ص 141- 142.

(3) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس وآخر، دار العلم للملايين بيروت ط 1968/5 ص 266.

(4) غزنة وغزنين كما ذكرها الفرس، مدينة عظيمة وولاية واسعة هي الحد بين خراسان والهند أنظر الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 798.

نوح بن نصر[1]. ومازال يرتقي في سلك الوظائف العليا للدولة حتى ولي منصب حاجب الحجاب للأمير عبد الملك بن نوح[2]. ونظرا لازدياد نفوذه داخل البلاط السامانى، قرر الأمير عبد الملك إبعاده عن حاضرة دولته فاسند إليه ولاية خراسان سنة(349ه/961م).[3]تسلم البتكين مهام عمله، وقدم إلى نيسابور. وعلى الرغم من إبعاده إلى خراسان، بقي البتكين يتمتع بنفوذ قوى داخل البلاط السامانى، بدليل أنه أقنع الأمير عبد الملك بخلع وزيره، وتعين أبو علي البلعمي، الذي كان أداة في يد قائد الجيش القوى، بحيث لا يستطيع أن يفعل شيئا دون علم أو مشورة البتكين.[4] في شوال سنة (350ه/نوفمبر 961م)توفي الأمير عبد الملك بن نوح، فدخلت الدولة السامانية في منعطف سياسي خطير، فهاجت الفتن وتجددت الاضطرابات حتى أن الثوار، انتهبوا وأحرقوا دار الإمارة نفسها[5]. تشاور الأمراء ورجال البلاط مع البتكين فيمن يراه مناسبا لتوليه أمر الدولة، وكان البتكين يرى بأن الذي يستحق ذلك هو ابن الأمير عبد الملك المسمى نصرا، ولكن قادة الجيش ورجال البلاط اتفقوا على تولي منصور بن نوح آخ الأمير عبد الملك العرش السامانى[6]. غضب البتكين لذلك غضبا شديدا، وقرر تنفيذ رأيه بحد السيف، فبعث رسولا إلى صديقه أبي منصور، يعرض عليه التحالف قائلا: " أحكم أحوال خراسان وضع حق الصحبة التي بين كلانا في مكانها كما هو اعتقادي فيك..."[7]، وفوض إليه أمر خراسان، وسلك هو الطريق إلى بخاري في ذي القعدة 350ه/ ديسمبر 961م . انتبه الأمير منصور بن نوح إلى خطورة الموقف، فعمل على استمالة أبي

---

(1) الطوسي، نظام الملك، المصدر السابق ص 143.

(2) عصام الدين عبد الرؤوف، بلاد الهند في العصر الإسلامي، عالم الكتب، القاهرة 1980 ص 13.

(3)الكرديزي، المصدر السابق ص 224.

(4)الكرديزي، نفسه ص 224.

(5) النرشخي، المصدر السابق ص 139.

(6)الكرديزي، المصدر السابق، ص 225.

(7)الكرديزي، المصدر السابق ص 225.

منصور إليه، فكتب إليه قائلا : " لا تدع البتكين يعبر النهر، حاربه، ولك قيادة جيوش نيسابور، وأمله أمالا أخرى." فاستطاع استمالته إلى صفه، فلما وصل البتكين إلى ساحل جيحون، وجدان الخطر محيطا به من الجانبين، ومما زاد الأمر سوءا، أن رسائل بلاط بخاري قد وصلت إلى قادة جيش البتكين، فامتنعوا على مهاجمة

بخاري.[1]أدرك البتكين وجود مؤامرة ضده، فقام بإشعال النار في معسكره، وعاد إلى بلخ[2]. أرسل الأمير منصور جيشا قوامه 12 ألف فارس لمطاردة البتكين ومحاولة إخضاعه، فلما علم البتكين بذلك استدرج الجيش الساماني إلى مضيق وادخلم،[3] وأوقع به هزيمة كبرى، وبعدها قرر البتكين الرحيل إلى غزنة وإقامة حكومة مستقلة فيها[4]. وقبل الوصول إلى غزنة توجه البتكين إلى باميان[5]، فتصدى له أميرها (باريك)، فهزمه البتكين وأسره، ثم عفا عنه وخلع عليه، ومن هناك توجه إلى كابل، وهزم أميرها، وأسر ابنه، ولكنه أرجعه إلى أبيه، وأحسن معاملته، ثم مضى إلى غزنة فاشتبك مع حاكمها الذي يدعى أبا بكر لويك على مشارف المدينة في معركة كبيرة أسفرت عن هزيمة حاكم غزنه واستسلامه، وأحسن البتكين معاملته وقرر له راتبا شهريا وأملاكا، ومنذ ذلك الوقت أصبحت غزنة موطنا للبتكين وعاصمة لإمارته الجديدة[6].لما علم الأمير منصور بن نوح بنبأ انتصار البتكين على حاكم غزنة، أرسل حملة ب 20 ألف مقاتل غير أن هذه الحملة تعرضت لهزيمة منكرة من قبل جيوش البتكين، عندها قرر الأمير منصور بن نوح أن

---

[1]الكرديزي، نفسه، ص 225.

[2]الكرديزي، نفسه ص225.

[3] خلم، مدينة تقع على شرق من بلخ، تبعد عنها بنحو يومين، فيها قبائل عريقة من الأزد،كي،ليسترنج بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، دار الرسالة، بيروت، ط02 ص 469.

[4] الطوسي، نظام الملك، المصدر السابق ص ص 150، 151، النرشخي المصدر السابق ص 140.

[5]باميان، ناحية بين خراسان وأرض الغور ذات مدن وقرى وجبال وأنهار كثيرة من بلاد غزنه القزويني، المصدر السابق ص 154.

[6] الطوسي، نظام الملك، المصدر السابق ص ص151، 152، بارتولد المرجع السابق ص 384.

يتصالح مع البتكين وسلم له منطقة نفوذه المفتوحة، حتى يحافظ على دولته، ويتفرغ لإيقاف الأتراك القراخانيين، الذين أخذوا يغيرون على بعض مدن إقليم ما وراء النهر، وأضحوا يشكلون خطرا مباشرا على سلامة الدولة السامانية[1].

وصفوة القول أن ثورة البتكين أحدثت أثار سيئة على قوة الدولة السامانية وهيبتها فأخذت منذ ذلك الوقت تسير في طريق الانهيار بسرعة هائلة، واستطاع المملوك البتكين كبير حجاب البلاط السامانى سابقا وقائد جيوش خراسان إعلان انفصاله عن الدولة السامانية، مستقطعا بعض أجزائها ومؤسسا بذلك دويلة قدر لها أن تصبح من أعظم دويلات المشرق الإسلامي، أخذت على عاتقها نشر الإسلام في شبه القارة الهندية والدفاع عن الدولة الإسلامية من جهة الشرق، وعلى هذا الأساس استحق البتكين أن يكون المؤسس الأول للدولة الغزنوية التى استمرت أكثر من مائتي سنة.[2]بعد أن وطد البتكين نفوذه في غزنة والمدن المجاورة لها أخذ ينظم شؤونها، وينشر العدل بين أهلها، فالتفوا لمؤازرته، وقدموا له فروض الطاعة، فتطلع بعد ذلك، لمد نفوذه إلى بلاد الهند المجاورة، بهدف توسيع رقعة إمارته، ونشر الإسلام بين الهنود الكفار، فضلا عن الحصول على الأموال اللازمة، لكن البتكين، لم ينعم بهذه الانتصارات، وتوفى في 20 شعبان 352ه/ 14 سبتمبر 963م[3].

ب-أبو إسحاق إبراهيم بن البتكين:

تولى أبو إسحاق إبراهيم الحكم في غزنة خلفا لوالده البتكين، وكان إبراهيم قائدا لجيوش خراسان في الحكم السامانى، ولكنه لم يكن على مستوى القدرة والكفاءة السياسية والعسكرية التي كانت لدى والده، فلم يستطيع السيطرة على مقاليد الحكم في غزنة، بسبب

---

[1] الطوسي،نظام الملك، المصدر نفسه، ص ص 152، 153.

[2] فريد محمد علي، المرجع السابق ص 47.

[3] العمادي، المرجع السابق ص 29.

ضعف شخصيته، فتمرد عليه جنده، وثار عليه أهل غزنة، فانتهز أبو علي بن لاويك (الحاكم السابق لغزنة)، الفرصة وقاد حملة عسكرية نحو غزنة، فلم يقدر إبراهيم على المقاومة، ففر هاربا إلى بخاري مستنجدا بالأمير منصور بن نوح الساماني، فأمده بجيش تمكن بفضله من استعادة الحكم في غزنة.[1] ويبدو أن الأمير الساماني، قد اشترط على أبي إسحاق، أن يعلن ولاءه وطاعته للدولة السامانية، مقابل المساعدة العسكرية، وبذلك استعاد السامانيون سيادتهم ولو اسميا كما أشار إلى ذلك بارتولد[2].توفي الأمير أبو إسحاق بعد فترة من استعادة عرشه في 25 ذي الحجة 355ه/16 نوفمبر 965م، وبموته المفاجئ انقطعت سلسلة الأمراء من نسل البتكين لأنه لم يترك وريثا يرفعه الغزنويون إلى العرش.[3].

ج- بلكاتكين (غلام البتكين):

بعد وفاة أبي إسحاق إبراهيم بن البتكين، اجتمع أعيان الدولة ورجال البلاط ،وأجمعوا على مبايعة بلكاتكين، وكان بلكاتكين غلاما لسيده البتكين، وكان رجلا محاربا، شجاعا، مشهورا بين الجنود، محبوبا بين الرعية، وأخذ يتدرج في المناصب داخل البلاط الغزنوي حتى ارتقى إلى قيادة الحرس الخاص بمولاه البتكين ،وأصبح له من النفوذ والمكانة داخل البلاط الغزنوي ما دفع أهل غزنة لاختياره أميرا عليهم.[4] وكان أول عمل قام به الأمير الجديد هو أن أرسل رسالة إلى بلاط بخاري مقدما فيها ولاءه للأمير الساماني، ولكن فائقا الذي كان أميرا ونائبا لنوح بن منصور، والذي كان حاقدا على الأتراك كثيرا، أشار على الأمير منصور بإرسال جيش للقضاء على بلكاتكين، وفعلا أرسل الأمير منصور جيشا

---

(1) العمادي، المرجع السابق ص 29.

(2) بارتولد، المرجع السابق ص 284.

(3) علي محمد فريد، المرجع السابق ص 48.

(4) علي محمد فريد، نفسه ،ص48.

لاستعادة غزنة، ومني هذا الجيش بهزيمة كبيرة ،ومن بعدها لم ترسل جيوش أخرى من بخاري إلى هذه الأجزاء من ممتلكات الغزنويين، واستمر حكم بلكاتكين لمدة 10 سنوات إلى أن توفى سنة 364ه/975م.[1]

د-بيري (غلام البتكين):

لما توفى بلكاتكين احتفظ بالسلطة غلام آخر من غلمان البتكين واسمه بيري أو بيري تكين، وأبدى بيري ولاءه للسامانيين، ولكنه كان رجلا ظالما، فاسدا، انصرف إلى حياة اللهو والشراب، فضاق به أهل غزنة ذرعا فدعوا أباعلى لاويك ليكون ملكا عليهم.[2] فزحف بجيشه نحو غزنة، لكن سبكتكين قطع عليه الطريق ملحقا الهزيمة به، ففرر الجنود عزل بيري واختيار سبكتكين مكانة ،وبذلك انتهى حكم آل البتكين ومواليهم وحل عهد جديد هو عهد آل سبكتكين[3].

3- ولاية سبكتكين وفتوحاته:

ولد سبكتكين سنة (331ه/943م)وكان والده جوق أحد أشراف تركستان ورئيسا لإحدى قراها. وقع سبكتكين في الأسر في إحدى الحروب التي وقعت بين قبيلته وإحدى القبائل المجاورة، فساقه تجار الرقيق إلى خراسان، وهو ما يزال في الثانية عشرة من عمره، وهناك اشتراه البتكين من تاجر يدعى نصر حاجي.[4] ونظرا لقوته الجسمانية ومهارته في الفنون العسكرية فقد أعجب به البتكين إعجابا شديدا، وأخذ يرقيه بسرعة إلى مراتب عالية

---

[1] العمادي، المرجع السابق، ص 29.

[2] العمادي، المرجع السابق ص ص 29، 30.

[3] علي محمد فريد، المرجع السابق ص 49.

[4] البيهقي، أبو الفضل محمد بن حسين، تاريخ البيهقي، ترجمة يحي الخشاب وصادق نشأت، دار الطباعة الحديثة، مصر، ص 216-217، العمادي، المرجع السابق ص 32.

دون أن يجتاز التدرج المعتاد في خدمة العبيد[1]. وبعد اعتلاء منصور بن نوح العرش السامانى صحب سبكتكين مولاه إلى غزنة، وتزوج من ابنته، وأصبح من كبار رجال البلاط في غزنة[2].وبعد وفاة البتكين أصبح سبكتكين حاجب الحجاب وأكثر الظباط ثقة لدى أبي إسحاق إبراهيم بن البتكين[3]، إلى أن اعتلى عرش الإمارة بموجب اتفاق بين عامة الناس وخاصتهم، نظرا لما عرفوه من عقله ودينه ومروءته، فوليهم وأحسن السير فيهم وساس أمورهم سياسة حسنة.[4]استقر حكم سبكتكين وعظم شأنه، وارتفع قدره، واتسعت دائرة حكمه، في تلك الفترة المضطربة من تاريخ الإسلام، فالبويهيون يوطدون نفوذهم ويعرضون سلطانهم على الخلافة، والسامانيون كانوا يتعرضون لضغط الأتراك القراخانيين الذين أسلموا وبدأوا انسالهم إلى الغرب، فكان على سبكتكين في هذه الفترة العاصفة، أن يعزز قوته ،وأن يفرض سلطانه، فوحد القبائل الموالية له، وكون جيشا قويا من الأتراك والأفغان.ثم بدأ يمد نفوذه وسيادته على المناطق المجاورة له في غزنة. فاستولى على منطقة الداور،[5]وفتح كابل التي تمثل مفتاحا لمعابر جبال هندوكوش[6] وأتم

---

[1] اتبع السامانيون نظاما صارما في تربية العبيد، إذ كان الغلام يتدرج وفقا لخدماته وكفاءته ولياقته من مرتبة إلى أخرى، ففي السنة الأولى يخدم المملوك راجلا ولا يسمح له بركوب الخيل سرا أو علانية، وفي السنة الثانية يعطيه القائد جواد وسوطا فقط، وفي السنة الثالثة ينال نطاقا خاصا يشده على وسطه، وفي السنة الرابعة يحصل على جعبه سهام وأسلحة متنوعة يحملها عندما يمتطي الجواد وفي السنة الخامسة يعطي سرجا ولجاما ود بوس وفي السنة السادسة يولى السقاية وفي السابعة يوكل باللباس، ويظل يزداد في ألبسته وآلاته وعدد الأفراد المسؤول عنهم، حتى يصبح قائد فوج، ويستمر في التدرج حتى يصير حاجبا أو قائد للجيش، أنظر الطوسي نظام الملك، المصدر السابق ص 142، 143.

[2] العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي ص 156.

[3] NAZIM, M, the life ,and times of sultan Mahmud of Ghazna (combridge1931 p28.29.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، المجلد 7 ص 373.

[5]الداور، تسمى بالفارسية زمين داور، وبالعربية (أرض الداور) أو بلاد الداور ومعناها واحد وهو أرض الأبواب أي دروب الجبال وتقع على حدود جبال الغور، كي لسترنج، المرجع السابق، ص 384.

[6]هندكوش بالفارسية، الجبل ويطلق هذا الاسم على الجبال التي تقع شمال كابل، كي لسترنج، المرجع السابق ص 389.

فتح كامل البلاد الأفغانية.[1] واستغل سبكتكين تغلب باي توز على طغان والي مدينة بست الذي لجأ إلى الأمير سبكتكين مستظهرا به طالبا العون منه، مقابل الدخول في طاعته ومبلغ من المال، وفعلا سار سبكتكين على رأس جيش كبير وتمكن من هزيمة باي توز،[2] وإعادة طغان إلى حكم مدينة بست،[3]مرة أخرى. غير أن طغان نكث بعهده، وأخلف وعده، في دفع الأموال المستحقة عليه، مما اضطر الأمير سبكتكين، لتسير حملة ضده، وتمكن من هزيمته، واستولى على بست وضمها إلى حوزته ــ[4] ويصف العتبى ضم بست إلى أملاك سبكتكين قائلا: " وبست له صافية وأطرافها عن ذوي الخلافة خالية وبشعار دولته حالية، وامتد باي توز وطغان إلى نواحي كرمان وسجستان ولم يحلم منهما أن يلتفت وراءه فضلا عن أن يتمنى لقاءه ــ"[5]

كان من نتائج فتح مدينة بست اتساع رقعة الإمارة الغزنوية وذيوع صيتها، وارتفاع شأن أميرها، على أن اهم فائدة جناها سبكتكين من هذا الفتح،هو التعرف على الشاعر والكاتب إبى الفتح البستي، واستحضاره إلى مدينة غزنة، فقد كان الأمير في حاجة إلى كتابته ومعرفته وهدايته، فحظى عنده بمكانة كبيرة وصار كاتبا لديوان رسائل الدولة الغزنوية.[6]بعد أن استتب الأمر لسبكتكين في بست وامتلك جميع أطرافها قرر الاستيلاء

---

(1) حسن أحمد محمود، الإسلام و الحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار الفكر، القاهرة 1998 ص 190، عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق ص 15.

(2) باي توز، أحد زعماء الترك وكان من أمراء السامانيين، يذكره ابن الأثير بأبي توز، أنظر ابن الأثير، المصدر السابق، المجلد7 ص 374.

(3) بست، مدينة تقع على نهر هلمند عند ملتقى النهر الآتي من ناحية قندهار، كي لسترنج، المرجع السابق ص 383.

(4) العتبى، أبو نصر محمد بن عبد الجبار، تاريخ اليميني وبه شرح الشيخ أحمد بن علي المنيني الذي أسماه الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي، القاهرة 1869م، ص ص 64 65، 66.

(5)العتبي، نفسه ص67.

(6)العتبي، نفسه ص 67، 68.

على قصدار[1] القريبة من أملاكه، بهدف تأمين مملكته، بعد أن رفض واليها، الذي لم تذكر كتب التاريخ اسمه الدخول في طاعته، معتمدا في ذلك على حصانة مدينته، وصعوبة مسالكها، وفي ذلك يقول العتبي " وكانت بلاد قصدار قد وقعت من وراء بيضته، ورد عليه واليها، بحصانة أطرافها ونواحيها، وخشونة مصاعدها ومهاويها.[2] فسار إليه سبكتكين على رأس جيش سنة 366ه/976م، ودخل مدينة قصدار، وقبض على أميرها ثم أطلق سراحه وأقره على مدينته مقابل الدخول في طاعته ومبلغ من المال إلى خزانته، وبذلك صارت قصدار ضمن أملاك سبكتكين.[3] أتاحت هذه الانتصارات العسكرية، الفرصة لسبكتكين حتى يفتح جزءا كبيرا من بلاد الهند، فتوغل داخل حدودها وفرض سيطرته على كثير من معاقلها وحصونها.[4] فانزعج جيبال ملك الهند، ورأى في استيلاء سبكتكين على أطراف بلاده، تهديدا لمملكته فجهز جيشا كبيرا، مدعوما بالفيلة وسار قاصدا غزنة. فخرج إليه سبكتكين هو الآخر على رأس جيش كبير وفرق من المتطوعة ومعه ابنه محمود، والتقى الجيشان عند جبل غوزك.[5] واقتتلو قتالا مريرا أظهر فيه الهنود شجاعة نادرة، قابلها سبكتكين وجنده ببسالة وبأس شديد، اضطرت جيبال إلى طلب الصلح، وهو ما لم يرض به محمود، وطلب من أبيه مواصلة القتال، ولكن سبكتكين قدر الموقف ورأى أن المصلحة في وقف القتال وابرام الصلح مقابل تعهد جيبال بدفع مبلغ ألف ألف درهم شاهي،[6] وخمسون فيلا، ومغادرة عدد من المدن، والقلاع والحصون،

---

[1] قصدار، ناحية مشهورة قرب غزنة وهي من بلاد الهند، وقصدار قصبة ناحية يقال لها طوران: أنظر الحموى المصدر السابق، مجلد4 ص 341، الاصطخري، المصدر السابق ص 105، ابن الأثير، المصدر السابق، ص 373.

[2] العتبى، المصدر السابق، ص 72، ابن الأثير، المصدر السابق ، ص 374.

[3] العتبي، نفسه ص 74، ابن الأثير المصدر نفسه ص 374.

[4] ابن الأثير، المصدر نفسه ص 374.

[5] غوزك، جبل على طريق ما بين غزنة ولا مغان، أنظر خديجة ثلجوم،السلطان محمود الغزنوي،عصره وسياسته رسالة ماجستير غير منشورة جامعه الجزائر2 بوزريعة 2010 ص38 هامش05

[6] شاهي نقد نحاسي إيراني والكلمة منسوبه إلى الشاة أي الملك بالفارسية، فيكون معناه القطعة الملكية أو النقد الملكي، علي محمد فريد، المرجع السابق ص 54.

وأن يسلم جيبال، عدد من أقربائه، وقادة جيشه، كرهينه وضمانه لتنفيذ بنود الصلح.[1]بعد مدة نكث جيبال عهده، وألقى القبض على رجال سبكتكين، الذين أرسلهم لتسلم الحصون والمدن الحدودية، وفقا لبنود الصلح، فانطلق سبكتكين على رأس حملة عسكرية ،إلى مناطق جيبال مقتحما ديار الهند وافتتح قلاعها حتى وصل إلى لمغان،[2]وهدم بيوت الأصنام وافتتح بيشاور،[3]وهي مدن لم يصل إليها فاتح مسلم من قبل على حد تعبير العتبى:"بلادا لم يسكنها قبل الا كافر ولم يطأها في الإسلام خف ولا حافر".[4]بعث جيبال برسائل الاستغاثة إلى الأطراف، طالبا من راجات[5] الهند المساعدة ،والوقوف إلى جانبه، والعمل على تشكيل حلف عسكري ضد المسلمين، فاستجاب له الأمراء المجاورين، وقاموا بتجهير جيش ضخم من 100 ألف فارس، وتحرك جيبال قاصدا غزنه، فخرج إليهم سبكتكين واشتبك معهم في معركة عنيفة، أسفرت عن هزيمة جيبال وحلفائه وأرغموا على عقد صلح على مال يقدر ب 200 من الفيلة، وعشرة آلاف من رؤوس الخيل سيقت كلها إلى بشاور.[6]وخلاصة القول أن الأمير سبكتكين من خلال فتوحاته في بلاد الهند أجبر جيبال على التخلي على إقليم كابل الواقع على الحدود والمسيطر على المسالك المؤدية إلى

---

[1]العتبي: المصدر السابق،ص 74، عصام عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص 17.

الهروي احمد بخشي نظام الدين، طبقات أكبري، ترجمة عن الفارسية أحمد عبد القادر الشاذلي الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995، الجزء الأول ص 21 22.

Lane _ poole ,Medieval india under Mohamaden ruleNewYork1935 p17

[2] لمغان، من قرى غزنة، تشتمل على عدة قرى في جبال غزنة، أنظر الحموى المصدر السابق مجلد 5 ص 08.

[3] بيشاور، مدينة قديمة عرفت بأسماء مختلفة وبيشاور: تعنى مدينة الحدود وهي تقع في الحدود الشمالية الغربية في باكستان أنظر الموسوعة العربية، حرف ب arab -ency.com

[4] العتبي، المصدر السابق، ص 82، 84.

[5] مشتق من لفظ راج وهو باللغة السنسكريتية بمعنى حكم وراجا أو راجاه يعني ملك أو أمير وهو لقب عرف به زعماء الدويلات الهندية، أنظر مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1996 ص 201.

[6]الساداتي، أحمد محمود، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، مكتبة الآداب، القاهرة، الجزء الأول ص 85.

السهل الهندي الخصيب.[1] كما أن هذا الفتح قد اكسب سبكتكين نصرا سياسيا على مستوى بلاد المشرق، وتكريما لهذه الجهود اعترف الخليفة العباسي الطائع (363ه/381ه) بإمارته على غزنة مما أكسب حكمه صفة شرعية،ونال لقب ناصر الدين، وبعث إليه الخليفة العباسي،بالعقد والخلع التقليدية.[2]

4-علاقة سبكتكين بالسامانين وأعماله في خراسان

كان سبكتكين من الناحية الفعلية، مستقلا عن السامانين، وأكثر نفوذا منهم، ومع ذلك، فإنه كان يعترف لهم بسلطانهم، ووقف إلى جانبهم، في صراعهم ضد أعدائهم.[3]وقد اعتمد سبكتكين، على كاتبه وشاعره أبي الفتح البستي، في تحسين علاقاته بالبلاط السامانى، فهو بحكم منصبه في ديوان الرسائل، بالبلاط الغزنوي، كان على اتصال دائم برجال البلاط في بخاري،من خلال مراسلاته ومكاتباته الرسمية، شارحا لهم، سياسة الأمير سبكتكين، وفتوحاته المظفرة في الهند، وكذلك ضمه لبعض الولايات التي وقعت في حوزته، ومنها بست وقصدار واستطاع من خلال سياسته الحكيمة، ودرايته، وحنكته، أن يكسب تأييد الدولة السامانية لسبكتكين، وأعماله في الهند، مع الاعتراف بدولته في غزنة والولايات إلتى ضمها إليه.[4]

أ- دوره في القضاء على التمردات داخل الدولة السامانية:

شهدت الفترة التي تولى فيها سبكتكين، حكم غزنة، بداية تلاشى الدولة السامانية، واضمحلالها، فأخذت قوتها تضعف، ونفوذها يتقلص، وكثرت التمردات، من قبل أمراء

---

[1] كارل بروكلمان، المرجع السابق ص 267.

[2] الطوسي، المصدر السابق ص 154.

[3] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل بيروت الطبعة 14، 1996، الجزء الثالث ص 93.

[4] العمادي، المرجع السابق ص 89-90.

الأطراف، وقادة الجيش، الذين زاد نفوذهم، واستهتارهم، وتطاولهم، مستغلين ضعف الأمراء السامانيين المتأخرين، وصغرسنهم.[1] ففي سنة 384ه/994 م،خرج والي خراسان أبو علي بن سيمجور، وصاحبه فائق الخاصة، على طاعة الأمير الساماني نوح بن منصور.[2] فلم يجد هذا الأخير، سوى اللجوء إلى الأمير سبكتكين، الذي كان مشغولا بفتوحاته في الهند.[3] لبي سبكتكين نداء الأمير نوح، حرصا منه على إظهار الولاء والطاعة للعرش الساماني،[4] هذا من ناحية،ومن ناحيةأخرى فقد أدرك سبكتكين بحنكته السياسية أن حكم آل سامان يعيش آخر أيامه، وبالتالي لم يعد هناك مانع من مد نفوذه ناحية الغرب في خراسان، خاصة وأن القوة الجديدة المتمثلة في أبي علي سيمجور قد تشكل عليه خطرا في المستقبل، لذلك فإن تدخله لصالح الأمير الساماني إنما هي في صالحه أيضا.[5]فالقضاء على أبي علي سيمجور، معناه أن سبكتكين سوف يصبح الحاكم الفعلي لخراسان، وهو ما تحقق له فعلا فيما بعد، وقد أشار الجوزجاني إلى نزعة سبكتكين التوسعية في خراسان وما وراء النهر كإحدى أهدافه من وراء مساعدة الأمير الساماني نوح، خاصة أن أهالي بعض المدن الخراسانة، قد استنجدوا بسبكتكين، وأخذوا يدعونه لامتلاك هذه البلاد.[6] فقد راسل أهالي مدينة بلخ سبكتكين وطلبو منه نجدتهم ليخلصهم من ظلم وتعسف الوالي الساماني عليهم.[7]

---

[1] علي محمد فريد، المرجع السابق ص 56.

[2]البيهقي، المصدر السابق، ص 215.

[3]العتبي، المصدر السابق ص 180، فامبري المرجع السابق ص 121.

[4]العتبي، المصدر السابق،ص 181، فامبري المرجع نفسه ص 121.

[5] إيمان بنت علاء الدين إبراهيم صانغ، العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2004 ص 66.

[6]إيمان علاء الدين إبراهيم، المرجع السابق ص 67.

[7] C.E Bosworth, the Ghaznavids their empire in Afghanistan and eastern Iran, 994-1040 Edinburgh1963p 43.

على أية حال ومهما كانت أهداف سبكتكين فإنه استجاب لنداء الأمير نوح الساماني في بخاري وسار بجيشه من غزنة،وبصحبته ولده محمود، قاصدا هراة،[1] إحدى المدن الخراسانية، التي كانت مسرحا، للعمليات الحربية[2]وفي 15 رمضان(383ه/993م)وقعت بين الطرفين ،معركة كبيرة، خارج مدينة هراة ،انتهت بانكسار أبي علي، وتقهقره إلى نيسابور، فأنعم الأمير نوح ،على سبكتكين بلقب ناصر الدولة، وعلى ابنة محمود، بلقب سيف الدولة.[3]وأسند إليه قيادة جيوش خراسان، ثم رحل الأمير نوح إلى بخاري، وأوكل إلى سبكتكين وابنه محمود مهمة متابعة أبي علي والقضاء على تمرده. فذهبا إلى نيسابور، فلما علم أبو علي بهم سار هو وفائق نحو جرجان.[4]لما استقام الامر لمحمود في نيسابور غادر سبكتكين راجعا إلى هراة، فلما علم أبو علي بن سيمجور بذلك وأدرك أن ليس مع محمود سوى عدد محدود من الرجال، عاد ثانية إلى نيسابور، ومعه فائق الخاصة،وتمكنوا من دخولها، واضطر الأمير محمود، إلى الانسحاب إلى هراة. وأقام أبو علي في نيسابور وأمران تقام الخطبة بإسمه على منابرها.[5]جمع سبكتكين الجيوش وخرج بها قاصدا أبا علي، فلما سمع الأخير به رحل إلى طوس،[6]ودارت بينهما معركة في قرية أندرح[7] في 27 جمادى الآخرة سنة 385ه/995م، وكادت الهزيمة أن تشيع في جيوش سبكتكين، لولا أن فجاءهم الأمير سيف الدولة محمود بغتة، بهجوم على ميسرة أبي علي، فزلزل أقدامهم وارتدوا على أعقابهم وحلت بهم الهزيمة، ولما رأى أبو علي ذلك فر

---

[1] هراة، مدينة عظيمة من مدن خراسان لم يكن بخراسان أجل ولا أعمر ولا أحصن منها، القزويني المصدر السابق ص 481.

[2] أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، الجزء الثاني ص 129.

[3]فامبري، المرجع السابق ص 121.

[4]العتبي، المصدر السابق، ص ص 193 196، البيهقي المصدر السابق ص215.

[5]العتبي، نفسه ص ص 199، 206، 207، 208، البيهقي، المصدر نفسه ص 221.

[6] طوس، مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ، الحموي، المصدر السابق ، المجلد 4 ص 49.

[7] أندرح، قرية بين جبلين في طوس، أنظر عفاف زيدان، هوامش كتاب زين الأخبار للكرديزي ص 249.

هاربا، ومعه فائق الخاصة، فقصدا سرخس،[1] ثم اتجها صوب مرو،[2] فآمل الشط،[3]ثم أخذا يراسلان الأمير نوح، طالبين منه العفو والصفح. فقبل عذر أبي علي،على أن يفارق فائق إلى الجرجانية،[4]في حين رفض اعتذار فائق وقرر الانتقام منه،فرحل الاخير قاصدا ايلكخان ليحتمي به، فأكرمه وعظمه.[5]

.وخلاصة القول، أن الأمير سبكتكين وابنه محمود، قد تمكنا من إلحاق الهزيمة بأبي علي وفائقا الخاصة، وقمعا عصيانهما، وتمردهما، فعظم لذلك شأنهما، وذاع صيتهما، وتباري الشعراء في مدحهما، على ذلك النصر العظيم، فهذا أبو الفتح البستي ينشد مادحا الأمير سبكتكين وجيشه، ومعاتبا أبا علي وعصيانه.[6]

ألم ترى ما أتاه أبو علي وكنت آراه ذا رأي وكيس

عصى السلطان فابتدرت إليه رجال يقلعون أبا قبيس[7]

وصير طوس معقله فصارت عليه الطوس أشأم من طوس

ب- دفاعه عن السامانين ضد الأتراك القراخانيون:

لم يلبث فائق الخاصة، أن عاوده الحنين إلى بخاري، وفكر في الرجوع إليها. وأخذ يعمل على إقناع إيلكخان، بالهجوم على بخاري. فوصلت هذه الأنباء إلى الأمير نوح، فبدأ بحشد

---

(1) سرخس، مدينة قديمة من نواحي خراسان تقع بين نيسابور ومرو، الحموي، المصدر السابق مجلد 3 ص 208.

(2) مرو، تسمى مرو الشاهجان، تمييزا لها عن مرو الروذ، من أشهر مدن خراسان وعاصمتها تبعد عن نيسابور بحوالي 70 فرسخا أما الشاهجان فهي كلمة فارسية معناها نفس السلطان لأن الجان معناها النفس أو الروح والشاه بمعنى السلطان وسميت بذلك لجلالتها عندهم، الحموي، نفسه، المجلد 5 ص 112-113.

(3) آمل الشط، مدينة مشهورةغربي نهر جيحون، الحموي المصدر نفسه المجلد 1 ص 57.

(4)الجرجانية، مدينة عظيمة على شاطئ جيجون، عاصمة إقليم خوارزم، الحموي، المصدر نفسه المجلد 2 ص 122.

(5)العتبي، المصدر السابق ص 209-215، البيهقي المصدر السابق ص 221-222.

(6)العتبي،المصدر السابق ص 215، البيهقي المصدر السابق 223.

(7) أبا قبيس، جبل بمكة المكرمة، الإصطخري، المصدر السابق ص 22.

قواته، وطلب المساعدة من سبكتكين، لمواجهة ذلك.[1] فاستجاب له وتحرك بقواته من بلخ، وانضمت إليهما بعض جيوش جوزجان،[2] والختل،[3]والصغانيان.[4]

ونزل بعد عبوره النهرين مدينتي كش،[5] ونسف،[6] وقد حاول أيلكخان، تفادي مواجهة سبكتكين، فأوفد إليه كبار شيوخه، بهدف إقناعه باقتسام الممالك السامانية، دون اللجوء إلى استخدام السلاح.

وأخذ شيوخ القراخانيين يذكرون لسبكتكين بأنهم يسعون جميعا لنصره الإسلام، والعمل على توسيع دائرة نفوذه في هذه المناطق، ولم يغفلوا عن التلميح له، بما وصلت إليه الدولة السامانية، من ضعف سياسي، وعندما أيقن أصحاب أيلكخان بأن نداءاتهم هذه، لم تجد آذانا صاغية من سبكتكين، اخبروه بأنهم لن يحاربوه، إلا إذ أرغمهم على الدفاع عن أنفسهم، ولكن سبكتكين لم يأبه لأقوالهم، بل رد عليهم ردا عنيفا، حذرهم فيه من ارتكاب أية مغامرة.[7]وكاتب الأمير سبكتكين الأميرنوح، يحثه على المسير اليه، لمجابهة ايلكخان ،بصفته صاحب الشأن. لكن وزيره عبد الله بن عزيز، نصحه، بأن ليس من مصلحته، الانضمام بقواته الضعيفة، إلى جيش سبكتكين القوى، لأن في ذلك تحقير للجيش

---

[1]العتبي، المصدر السابق ص 231.

[2]جوزجان، كورة واسعة من كوربلخ بخراسان تقع بين مرو الروذ وبلخ وعاصمتها تسمى اليهودية أنظر الحموي المصدر السابق، مجلد 2 ص 182.

[3] الختل، كورة واسعة كثيرة المدن منهم من ينسبها إلى بلخ وذلك خطأ فهي تابعة لما وراء النهر لأنها خلف نهر جيحون على تخوم السند، الحموى، المصدر نفسه مجلد 2 ص 346.

[4]الصغانيان ولاية عظيمة فيما وراء النهر، الحموي، نفسه مجلد 3 ص 408.

[5] كش، مدينة بالتركستان قرب نخشب تعرف الآن بشهر سبز، النرشخي المصدر السابق ص 104.

[6] نسف، مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند، الحموي، المصدر السابق، المجلد 2 ص 23.

[7]العتبي المصدر نفسه ص 233.

الساماني،فاستغفاء الأمير نوح من القدوم بنفسه.[1]وهذا يدل على مدى ضعف أمراء الدولة السامانية وسيطرة رجال البلاط عليهم. وعند ذلك سارع سبكتكين بإرسال قواته ،المؤلفة من 20 ألف مقاتل، إلى بخاري، بقيادة ابنه محمود، لحمل لحكومة السامانية على الإذعان، وعزل الوزير ابن عزيز بل وتسليمه إلى الأمير سبكتكين وتعيين أحد أنصار الأسرة الغزنوية مكانه.[2]أما أيلكخان فقد دعا إلى الصلح والتفاوض وحل الأزمة سلميا فأجابه الأمير سبكتكين إلى مطلبه حقنا للدماء، ودرءا للفتنة بسبب قعود الأمير الساماني وانكسار همته ونقصان عزيمته.

وتم بموجب هذا الصلح الاتفاق على أن تكون مفازة قطوان،[3] هي الحد الفاصل بين أملاك السامانيين وأملاك القراخانيين، وبهذا تكون جميع الولايات، الواقعة شمالي نهر جيحون ضمن أملاك الدولة القراخانية، أما الولايات الواقعة جنوبي نهر جيحون فتكون تحت سيطرة سبكتكتن. واستجاب سبكتكين، لرغبة أيلكخان، في تعيين فائق الخاصة، أميرا على سمرقند.[4]ووسط هذه الظروف الصعبة على الدولة السامانية ،تدهورت الأوضاع مرة أخرى في خراسان، في ظل غياب سبكتكين وابنه محمود وإقامتهما في بخاري، حيث أعلن أحد إخوة أبي علي سيمجور ويدعى أبا القاسم،[5] العصيان هناك، ويبدو أنه أراد الانتقام لما حدث لأخيه في بخاري، وتمكن من محاصرة

---

[1] كان عبد الله بن عزيز الطوسي قد حاول الإيقاع بين الأمير الساماني نوح بن منصور وبين الأمير سبكتكين وابنه محمود بحجة أنهما قد تلاعبا بالأموال والأعمال فطارده الأمير سيف الدولة لكنه هرب من طوس إلى مرو فافلت منه ولهذا أضمر له العداء، العتبي نفسه ص 235.

[2]العتبي، المصدر السابق ص ص 236-240.

[3] قطوان، أحدى قرى سمرقند، نسبت إليها كثير من العلماء،منهم، محمد بن عصام القطواني الفقيه أنظر الحموي، المصدر السابق، المجلد 4 ص 376.

[4]العتبي،المصدر السابق ص 240.

[5] لم أقف له على ترجمة في المصادر التي بين يدي.

نيسابور،والسيطرة عليها.[1]ولكن محمودا عاد مسرعا إلى خراسان، واستطاع إخماد هذه الحركة في مهدها، وأجبر أبا القاسم سيمجور إلى الفرار ناحية جرجان، وبذلك هدأت الأوضاع في خراسان.[2]

وبناء على ما سبق ذكره نستنتج أن الدولة الغزنوية، كانت خلال هذه المرحلة من عمرها تابعة اسميا فقط للبلاط السامانى، إلا أنها من الناحية الفعلية، كانت مستقلة تماما،بل أنها مارست نفوذا واسعا، وتدخلا واضحا في رسم السياسة السامانية، ولكن الشيء الذي يحسب بحق للأمير ناصر الدولة سبكتكين، وابنه محمود، أنهما وقفا، إلى جانب الدولة السامانية، وأخرا سقوطها، بفضل ما قدماهمن مساعدة عسكرية، ومعنوية، ضد الخارجين، والمتمردين، على سلطة الأمراء السامانيين من جهة، والوقوف في وجه الأتراك القراخانيين من جهة أخرى، وقد جنى الغزنويون، من وراء ذلك مكاسب سياسية كبيرة، فقد ظل الأمير سبكتكين، هو الحاكم الفعلي، لجميع الولايات الواقعة جنوب نهر جيحون وبذلك لم يعد للأمير السامانى نوح بن منصور يد في مجريات الأحداث.

ج- وفاة سبكتكين:

بعدما انتهت حركة التمرد، ذهب سبكتكين إلى بلخ، وهناك وصلته أخبار بوفاة أخته وأولادها وخدمها، فحزن لذلك حزنا شديدا، ووقع مريضا، ولما أحس بدنو أجله عهد لابنه إسماعيل واستخلفه على مملكته وأوصى إليه بأمور أولاده وكافة أفراد أسرته وجميع وجوه قادته وكبارحجابه، وأمرهم بطاعته والموافقة على ولايته[3]. اشتد المرض بالأمير سبكتكين فاشتاق إلى هواء غزنة لذلك خرج إليها من بلخ وفي الطريق توفي في شعبان

---

(1) ابن الأثير، المصدر السابق مجلد 7 ص 471.

(2) العتبي المصدر نفسه ص 245-247.

(3) العتبي،المصدر السابق ص 255، ابن الأثير المصدر السابق مجلد 7 ص 488.

سنة 387ه/997م ونقل إلى غزنة، ودفن بها[1].انتشر نبأ وفاة الأمير سبكتكين في المشرق كله، وخيم الحزن على إمارةغزنة، وقد رثاه عدد من الشعراء، على رأسهم وزيره وكاتبه أبو الفتح البستي بقصيدة مطلعها[2]:

قلت إذ مات ناصر الدين والد و له حياه ربه بالكرامة

وتداعت جموعة بافتراق هكذا هكذا تكون القيامة

تولى الأمر إسماعيل العرش الغزنوي فور وفاة أبيه، بموجب وصيته وعهده، وأقبل رجال البلاط، وقادة الجيش، وأعيان البلاد، على مبايعته.وكان أول عمل قام به إسماعيل أن أمر بفتح الخزائن التي ادخرها أبوه، وفرق الأموال، ووزع الهبات، على قادة الجيش وكبار رجال البلاط لكسب ودهم وتأييدهم.[3] إلا أنهم استصغروه لضعف شخصيته،واشتطو في طلب الأموال حتى فرغت الخزائن جميعها. مما عجل في زوال ملكه، خاصة وأن أخاه محمود ما فتئ يطالب بحقه الشرعي في تولي العرش، بصفته الابن الأكبر، والوريث الأجدر،ولم تكد تمضي سبعه شهور، حتى تمكن أبا القاسم محمود من الظفر بعرش غزنه، ويتبوأ سرير الملك[4].

---

(1) أبو الفداء، المصدر السابق، الجزء الثاني ص 133، الكرديزي المصدر السابق ص.

(2)العتبي المصدر نفسه ص 260.

(3)العتبي نفسه ص 272-273.

(4)العتبي نفسه ص 274.

الفصل الثاني

دور السلطان محمود الغزنوي في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية

1-محمود الغزنوي وظروف توليه العرش.

2-انهيار الإمارة السامانية و استيلاء محمود على خرسان.

3-حملات السلطان محمود وفتوحاته في شبه القارة الهندية.

4- الآثار الحضارية للفتوح السلطان محمود في الهند.

1-محمود الغزنوي وظروف توليه العرش

أ- شخصيته:

هو أبو القاسم محمود بن سبكتكين، ولد في التاسع من محرم سنة (361ه/نوفمبر 971م).[1]وكانت أمه ابنة لأحد أعيان زابلستان حتى أن محمود نفسه كان يسمى بمحمود الزابلي.[2] تلقى تعليمه المعتاد كأمير شرقي، تحت رعاية وإرشاد معلمه القاضي أبو علي، حيث لقنه العلوم الدينية المختلفة، كما حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، وأخذ عن أبوه مبادئ الحكم الناجح وأسسه، مما اكسبه خبرة عظيمة في المجال السياسي، والإداري، لدرجة أن سبكتكين والده لما ذهب إلى الحرب في بست، تركه نائبا له عن غزنه، مع وزيره أبي علي الكرماني، وكان حينئذ محمود مجرد طفل في السابعة من عمره[3].

برز محمود بقوته وشجاعته، وهو في 15 من عمره، في إحدى الحملات العسكرية، التي قادها أبوه ضد ملك الهند جيبال، سنة 376ه/987م.سجن محمود بضعة أشهر في قلعة غزنة نتيجة لجفوة سببها بعض الحاقدين بينه وبين أبيه. ولكن سرعان ما أطلق أبوه سراحه واسترد مكانته في المملكة.[4] وبعد سنوات قليلة، وتحديدا في سنة 384ه/994م، حارب محمود إلى جانب أبيه ضد فائق الخاصة، وأبي علي سيمجور، فأظهر مهارة ملحوظة كمقاتل وقائد، حتى منحه الأمير السامانى لقب سيف الدولة، وعينه قائدا للقوات الخراسانية بدلا من أبي علي سيمجور.[5]

---

[1] العمادي، المرجع السابق ص 37.

[2] الطوسي نظام الملك، المصدر السابق ص 154.

[3] العمادي المرجع السابق ص 37.

[4] علي محمد فريد، المرجع السابق ص 63.

[5] علي محمد فريد، نفسه ص 63.

ب- ظروف توليه العرش:

تولى الأمير إسماعيل العرش الغزنوي، بعد وفاة أبيه، بموجب وصيته، وعهده، وأقبل رجال البلاط، وقادة الجيش، وأعيان البلاد على مبايعته، وأعلن إسماعيل مبايعته للأمير السامانى أبو الحارث منصور بن نوح، وكان أول عمل قام به إسماعيل، هو أن فتح الخزائن، ووزع الأموال، وفرق الهبات، على قادة الجيش، وكبار رجال البلاط، لكسب ودهم وتأييدهم له. إلا أنهم استصغروه، لصغر سنه، و ضعف شخصيته، واشتطو في طلب الأموال، حتى فرغت الخزائن جميعها. مما عجل في زوال ملكه، خاصة وأن أخاه محمود أخذ يطالب بحقه الشرعي في تولي الإمارة بصفته الابن الأكبر سنا.

ومن الصعب التأكد من الاعتبارات التي دفعت سبكتكين، إلى تعيين ابنه إسماعيل خليفة له متخطيا حق ابنه الأكبر محمود، متجاهلا كفاءته وقدراته السياسية والحربية، مقارنة بقدرات أخيه إسماعيل. فالبعض يفسر ذلك، بمكانة والدة إسماعيل لدى سبكتكين، باعتبارها ابنة البتكين، فأراد سبكتكين بهذا التعيين تكريم سيده القديم.[1]وهناك من يفسر ذلك بوقوف إسماعيل إلى جانب والده، وهو على فراش الموت في ظل غياب أبنائه الآخرين.[2]وهكذا رحل سبكتكين مخلفا وراءه هذه المشكلة بين أبناءه، وقد حاول محمود إيجاد بعض الحلول لها بالطرق السلمية، والابتعاد عن الحل العسكري، الذي سيؤدي إلى إشعال النار داخل البيت الغزنوي، حيث بادر إلى مراسله أخيه، مؤكدا له أحقيته في السلطة بعد وفاة أبيه، بحكم أنه الأكبر منه سنا، وأخذ يقنعه بأن مرض الوفاة قد داهم والدهما فجأة، وأنه خاف في ذلك الظرف العصيب، أن يغتصب إمارة غزنة شخص غريب عن الأسرة، بسبب تواجد محمود في نيسابور، البعيدة عن مركز حكم أبيه حين حضرته الوفاة.[3]واصل محمود تقديم الوعود لأخيه وخيره بين حكم ولاية بلخ ونيسابور،

---

(1) العمادي، المرجع السابق ص 38.

(2) علي محمد فريد، المرجع السابق 61.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق مجلد 7 ص 488.

ولكن إسماعيل رفض كل هذه الحلول السلمية، التي عرضها عليه أخوه وصمم على البقاء على العرش، فتوسط بينهما أبو الحارث الفريغوني، أمير جوزجان، وحمو الأمير محمود، محاولا التقريب بين وجهات النظر ورأب الصدع، طالبا من الأخوين التفاوض وجها لوجه، وحسم الأمر والقضاء على الفتنة وحفظ كيان الدولة وهيبتها. لكن إسماعيل رفض العرض متهما أبا الحارث بالانحياز إلى صف أخيه محمود.[1]يئس محمود من محاولات إقناع أخيه بالحلول السلمية، فاضطر للسير إلى غزنة لإرغام أخيه على الخضوع له بالقوة، فقام باستدعاء عمه بغراجق، طالبا مساعدته، ثم سار نحو بست، وبها أخوه نصر، الذي تبعه دون تردد، إيمانا منه بحق أخيه محمود في العرش الغزنوي. كما وصل إلى معسكر الأمير محمود، أبو الحارث الفريغوني بكل قواته معلنا ولاءه وطاعته له[2].أدرك إسماعيل صعوبة موقفه، أمام هذه القوى المتحالفة ضده، فترك بلخ وعاد إلى غزنه، بهدف الدفاع عنها، وهناك، كانت المفاجأة، حينما وصل إلى محمود، كتب أعيان غزنه، وكبار قادة جيش إسماعيل، ورجال بلاطه، عارضين عليه تعاونهم، معلنين له ولاءهم ، لما عرفوه عن إسماعيل، من ضعف شخصيته، وقلة خبرته، وقد أشار العتبي لذلك بقوله[3]:" وقد تطاير إليه من قبل كتب الأعيان من قواد إسماعيل في ممالاته عليه، لما عرفوه من وهن أمره في الرياسة، وضعف يده عن حق السياسة"، وترددت السفراء بينهما، محاولين إصلاح ذات البين، وتجنب ويلات الحرب، إلا أن جميع المحاولات باءت بالفشل.فالتقت جيوشهما في صحراء غزنة ووقعت الحرب، واشتدت المعركة واحتدمت بين الطرفين وقد وصفها العتبي بقوله[4]: " ودنا الفريقان بعضهم من بعض، ضربا بالسيوف البواتك وطعنا بالرماح الفواتك، فظلت رحا الحرب تعركهم بثقالها، وتدور عليهم

---

[1]العتبي، المصدر السابق ص 275-276.

[2] العتبي، نفسه ص 278، ابن الأثير، المصدر السابق، مجلد 7 ص 488.

[3]العتبي، نفسه ص 278 ابن الأثير، نفسه ص 488.

[4] العتبي، نفسه ص 280، 281ن 282، ابن الأثير، المصدر نفسه، ص 489.

بأثقالها، إلى أن رمت الشمس بجمرات الظهيرة..." وعندئذ حمل سيف الدولة على جيش إسماعيل فزحزحه عن معاقلة، وفرق صفوفه، وشاعت الهزيمة المنكرة بين أفراده، وعندما أيقن إسماعيل بهزيمته، انحاز إلى غرنة متحصنا بقلعتها.تلطف الأمير سيف الدولة محمود لأخيه إسماعيل، وطلب منه النزول من قلعة غزنة على آمان، فلما نزل أكرمه وأحسن إليه.[1] ومع غروب شمس ذلك اليوم غربت سلطة الأمير اسماعيل التي استمرت سبعة أشهر، فاعتلى الأمير محمود عرش غزنة وبايعه أعيان البلاد، وقادة الجيش، ورجال البلاط، ومكث بمدينة غزنة مدة ينظم شؤونها، ويرتب فيها النواب الأكفاء المخلصين لسلطانه، ثم تحرك إلى بلخ وكتب إلى بلاط بخاري بوفاة أبيه وخلع أخيه، وطاعة الجيش والرعية إليه.[2] مثل جلوس الأمير سيف الدولة محمود على عرش غزنة نقطة تحول كبيرة في مسار الدولة الغزنوية، فأخذت في الاتساع غربا بدخول معظم إمارات المشرق المحلية تحت سيادته بما في ذلك ولاية خراسان الإستراتيجية وشرقا امتدت دولته من خلال فتوحاته المظفرة في شبه القارة الهندية إلى سومنات[3] شمال الهند وبفضله صارت إمارة غزنة الصغيرة أمبراطورية إسلامية مترامية الأطراف، استطاع محمود بكفاءته إدارة شؤونها وتسيير شعبها بمختلف أعراقه وأجناسه.

2-نهاية الإمارة السامانية واستيلاء محمود على خراسان.

بعد أن فرغ محمود من قتال أخيه واستولى على غزنة، عاد إلى خراسان من جديد فنزل في بلخ، وأرسل إلى الأمير الساماني منصور بن نوح يطلب منه خراسان، ولكن الأمير الساماني قام بمنحه ولاية بلخ وهراة و ترمذ[4] فقط، ورفض منحه ولاية نيسابور، التي

---

[1] العتبي،المصدر السابق، ص 280، 290، إبن الأثير، المصدر نفسه، ص489.

[2] علي محمد فريد، المرجالسابق، ص 66.

[3] بلدة مشهورة في بلاد الهند تقع على ساحل البحر، فيها هيكل فيه صنم اسمه سومنات وكان أمر هذا الصنم عظيما عند أهل الهند، أنظر القزويني، المصدر السابق، ص95.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، المجلد 7 ص 494.

كان قد منحها لأحد القادة، ويدعى بكتوزون أثناء غياب محمود عنها، وذلك سنة 388ه/998م[1]. استاء الأمير محمود من ذلك، فأرسل إلى الأمير السامانى يذكره بمواقفه، في الذود عن الدولة السامانية، ومناهضة أعدائها، ولكن الأمير السامانى تجاهل الأمر، ولم يصدر قرارا يعيد بموجبه محمودا إلى ولاية نيسابور، مما اضطر محمود إلى استعادة هذه الولاية بحد السيف، فسار إلى نيسابور، ولما علم بكتوزون والي نيسابور بمسيره رحل عنها، فدخلها محمود واستلكها[2]. فأثار ذلك غضب الأمير السامانى منصور وسار بنفسه إلى نيسابور، لاستردادها من محمود، ففضل هذا الأخير ترك نيسابور مؤقتا، وانحاز إلى مرور الروذ[3]منتظرا ما يكون منهم.[4] وهنا أحدث بكتوزون مفاجأة لم تكن في حسبان الأمير السامانى، ذلك أن بكتوزون انقلب على سيده، وانضم إلى بعض القوات السامانية، متآمرا على الأمير منصور، وقبضوا عليه عندما كان يتنزه في رحلة صيد وعزلوه، وأمر بكتوزون بسمل عينيه، وأقاموا أخاه عبد الملك بن نوح[5]، مقامه في ملك السامانيين، وكان لا يزال طفلا صغيرا سنة 389ه/998م.[6] ونبدو أسباب عزل الأمير منصور غامضة أمامنا بعض الشيء، وإن كان ابن الأثير: يعزو ذلك إلى

ترمذ، مدينة مشهورة من أمهات المدن على نهر جيجون من جانبه الشرقي متصلة الصغانيان، الحموى، المصدر السابق، مجلد2 ،ص26

[1] البيهقي، المصدر السابق ص 707.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ص 494.

[3] مرو الروذ، مرو بالفارسية،الحجارة البيض تقدح بها النار والروذ بالفارسية واد، فمعناها النهر،فكانه مرو النهر تعرف باسم (مرو الصغرى) تمييزا لها عن مرو الشاهجان التي كانت تعرف (بمرو الكبرى)، الحموي، المصدرمجلد5ص112السابق،كيلسترنج، المرجع السابق ص 440، 447.

[4] ابن الأثير المصدر السابق، ص 495.

[5] عبد الملك بن نوح بن منصور بن نوح بن نصر السامانى: آخر أمراء السامانيين في ما وراء النهر

390ه/990م.انتزع منه خراسان محمود الغزنوي، وسيطر إيلكخان على بخارى، وأسر الأمير عبد الملك، وتم ترحيله إلى أوزكند فمات فيها،ابن الأثير، المصدر السابق، مجلد8 ص03.

[6]أبو الفداء:المصدر السابق، مجلد 1، الجزء 2، ص 134

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الإرب في فنون الأدب تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت جزء 25 ص 223.

تشكك فائق وبكتوزون، في نية الأمير منصور تجاههما، وذلك عندما اجتمع بكتوزون بالأمير الساماني، أثناء إقامته بسرخس لم ير منه ذلك التقدير الذي اعتاد عليه، وألفه، فشكا ذلك إلى فائق، الذي أظهر كذلك غضبه الشديد منه، واتفقا على خلعه، ووافقهما على ذلك جمع كبير من قادة الجيش الساماني[1]. ولكن المؤرخ العتبي- وهو معاصر لهذه الحوادث- يرى: أن هناك سببا مخالفا لذلك، ويذكر أن محمودا، وهو في طريق عودته إلى خراسان، كاتب الأمير منصورا، وجرت بين الطرفين اتصالات سرية، بعث خلالها محمود بعض الهدايا للأمير الساماني من غزنة، وقد تسربت أنباء تلك الاتصالات إلى كل من فائق وبكتوزون، فخشيا أن يكون غضب الأمير منصور على محمود، وزحفه إلى نيسابور لتخليصهما من سيطرته، مجرد مناورة شكلية، قصد الأمير الساماني من ورائها تحقيق هدفين، أولهما: إيهام قادة خراسان بفتور العلاقات بينه وبين محمود، وثانيهما، الالتقاء بمحمود في نيسابور وتحريضه على بكتوزون وفائق، لذلك استعجل بكتوزون وفائق الحكم على هذه الحوادث، بأنها مجرد تدبير، وجه ضدهما، فخافا من الوقوع في فخ هذه المناورة، واتفقا على عزل الأمير الساماني[2].

وعندما تبين لمحمود، مدى ما بلغه الأمراء السامانيون، من ضعف ووهن حتى طمع فيهم قادة دولتهم، أخذ يفكر في تنفيذ خطة حربية تمكنه من توسيع نفوذ دولته على حساب الدولة السامانية، ورأى أن أول خطوة توصله إلى هدفه قيامه بالتخلص من بعض القادة السامانيين الذين لهم أطماع في أملاك هذه الدولة، واتخذ من حادثة عزل الأمير منصور ذريعة له في تنفيذ سياسته التوسعية، حيث تظاهر في ذلك الوقت بأنه يريد الانتقام للأمير المخلوع، وسار بقواته حيث كانت تتمركز القوى المعادية له، وعلى رأسها قوات

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ص 3، أبو الفداء،المصدر السابق ص 134.

[2] العتبي، المصدر السابق، ص 1/295-296.

بكتوزون وفائق، ولكنهما سرعان ما انسحبا إلى مرو،[1] حيث التقوا بقوات محمود[2]. وكادت الحرب تقع بين الطرفين، وفي هذا الوقت تردد السفراء بين فائق وبكتوزون ومن انضم إليهما وبين محمود ليحملاه على الصلح، وقد وافق محمود على ذلك حيث تنازل بموجب هذا عن نيسابور لبكتوزون،أما محمود فقد احتفظ لنفسه بولايتي بلخ وهراة[3].- ويتضح لنا من هذا الاتفاق أن محمودا قبل نفس الشروط التي كان الأمير الساماني منصور قد عرضها عليه قبل عزله، وكما نلاحظ أنه قد خسر كذلك، منصبه العسكري الذي ناضل طويلا في خراسان من أجل المحافظة عليه- ويغلب على الظن أن الذي حمل محمودا على قبول هذه المصالحة هو التفوق العددي لجيوش خصومه، حيث كانت أشبه بالحلف العسكري الذي يتكون من جبهات متعددة- فإلى جانب قوتي فائق وبكتوزون نجد قوة (أبي القاسم سيمجور) العسكرية، وكذلك قوة الأمير الساماني (عبد الملك بن نوح)،بالإضافة الى قوات دارا بن وشمكير[4]، ورغم أن هذا الصلح لم يكن في صالح محمود، فإنه قد فرح به كثيرا حسب روايات بعض المصادر التاريخية، التي تشير إلى أنه تصدق بألفي دينار على الفقراء، تعبيرا عن مشاعر الغبطة والسرور بهذا السلام[5].-

---

[1] مرو: عاصمة من عواصم خراسان القديمة على نهر مرغاب (Morghab)، وهي أقدم المدن في آسيا الوسطى، تقع على بعد 265 كلم شمال شرق مشهد و 350 كلم شمال هراة و425 كلم شرقي بلخ و 320 كلم جنوب غرب بخارى و 435 كلم جنوب شرق مدينة خيوه. سماه الجغرافيون (مرغابي)، ويبدو أن هذا الاسم مركب من اسمي (مرو) و(مرغاب) ، وتعرف أيضا (بمروشاهجان)، قام بتوسيعها وعمارتها (الاسكندر المقدوني) و أخلافه. واتخذها أبو مسلم الخراساني مكانا لدعوته للعباسيين 131ه/748م.

النرشخي: تاريخ بخارى، ص57، هامش (4)، تقع حاليا جنوب جمهورية تركمانستان إلى الشرق عاصمة (عشق آباد)، وهي مسقط رأس علماء ومشاهير كثيرين، المنجد: في اللغة والأعلام، ص 530.

[2] العتبي، المصدر السابق1/301، ويذكر ابن الأثير: أن الطرفين اقتتلوا أشد قتال رآه الناس إلى الليل، فانهزم بكتوزون وفائق ومن معهما، ابن الأثير، المصدر السابق ص 03.

[3] العتبي، المصدر السابق 1/302؛ البيهقي،المصدر السابق ص 708، بارتولد: تركستان، ص 404.

[4] العتبي، المصدر نفسه، ص 301.

[5] البيهقي، المصدر نفسه، ص 708.

ولعل مرد ذلك، أنه استطاع بهذا الصلح أن يحصل على وقت يتمكن خلاله من تجهيز جيشه قدر المستطاع، لمواجهة أعدائه- بالإضافة إلى ما ذكره العتبي، من أن فرحه يرجع لعلمه بأن طلبهم الصلح مع إضمارهما الخداع والحيلة[1]، وبالفعل نجد أن (دارا بن قابوس)- كما يبدو- لم يقتنع أساسا بشروط هذا الاتفاق، لأنه لم يحصل بمقتضاه على ما كان يطمع فيه من مكاسب، فقام بشن هجوم غادر على قوات محمود، الأمر الذي نتج عنه نقض هذا الاتفاق وتجدد القتال بين الطرفين[2]. فأخذ محمود ينظم جيشه، استعدادا لخوض غمار هذه الحرب الحاسمة، ضد قوات قادة الدولة السامانية المتآمرين عليه في خراسان، وزحف بقوة ضمت أخاه الأمير (نصرا ابن سبكتكين) و (عمه بغراجق) وقد استخدم محمود في هذه الحرب، فيلة بلغ عددها زهاء مائتين[3]، وبدأ هجومه على هذه القوى بالقرب من مرو، وذلك في سنة389ه/998م، واستطاع أن يحرز انتصارا ساحقا على أعدائه، حيث سقطت بلاد خراسان كاملة في قبضته فاستولى عليها[4]، وأصبح في مأمن من خصومه، بعد أن تمكن من تفريق شملهم بعيدا عنه، حيث انهزم الأمير عبد الملك بن نوح السامانى ومعه فائق إلى بخارى، تاركين أتباعهم بين قتيل وأسير، بينما هرب بكتوزون إلى نيسابور ومنها إلى جرجان، أما أبو القاسم سيمجور فقد لاذ بالفرار ناحية قهستان[5]، وبدأ محمود يعين عمالا من قبله على مدن خراسان، نذكر منهم (أرسلان

---

(1) العتبى، نفس المصدر، ص 302، البيهقي، نفسه، ص 708.

(2) إيمان علاء الدين، المرجع السابق، ص 80.

(3) العتبى،المصدر السابق، ص 304.

(4) إيمان علاء الدين، المرجع السابق، ص 80.

(5) ابن الأثير، المصدر السابق، ص 3- 4.

الجاذب)[1] الذي تولى مدينة طوس وقام بدور هام في تتبع بكتوزون حتى أجبره على مغادرة حدود خراسان[2].

وبهذه الانتصارات سيطر محمود على ولاية خراسان وأصبح زمام الأمور فيها بيده دون الرجوع إلى الحكومة السامانية، وعين الأمير نصرا قائدا لجيوش خراسان، وأخذ يستقبل فيها سفراء بعض أمراء الأقاليم المجاورة الذين قدموا لتهنئته بهذا النصر الكبير، وقد أعلن بعضهم التأييد والطاعة له[3]. وبعد أن حصل على تأييد الأمراء المجاورين أرسل إلى الخليفة العباسي القادر بالله 381ه 422ه/991-1031م رسالة تحمل نبأ هذا النصر[4]، ويمتدح في بدايتها سيرة أمراء السامانيين الأوائل، وحسن ولائهم للخلافة العباسية، كما يذم فيها سيرة أواخر أمرائهم، ويؤكد في خطابه، أنه أقدم على محاربة السامانيين، بعد أن امتنعوا من الاعتراف بالخليفة العباسي (القادر بالله)، واستمروا على إقامة الخطبة للخليفة

---

[1] أرسلان الجاذب، من كبار قواد العسكريين الغزنويين في عهد السلطان محمود وابنه مسعود الذي تزوج من ابنته، كان نائبا لمحمود في ولاية طوس بخراسان، ولما عزم محمود على غزو المولتان أمر أرسلان بالإقامة في هراة، ولا يعرف شيء عن نهايته.البيهقي: المصدر السابق، ص 78، ابن الأثير، المصدر نفسه، مجلد 8 ص4.

[2] العتبي المصدرالسابق،ص ص306-312.

[3] ابن الأثير: نفس المصدر، المجلد 8 ص ص4، 5.

[4] النويري،المصدر السابق، جزء 26ص19

ورد ضمن عبارات هذه الرسالة قول السلطان محمود: " قد علم مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه حال الماضين من السامانية، وما كانوا فيه من نفاذ الأمر وجمال الذكر وانتظام الأحوال، بما كانوا يظهرونه من طاعة أمير المؤمنين ومبايعتهم، ولما مضى صالح سلفهم، وبقي خلف خلفهم خلعوا ربقة الطاعة وشقوا مخالفة مولانا أمير المؤمنين، وأخلوا منابر خراسان عن ذكره واسمه، ولم أستجز مع ما جمع الله لي في طاعة مولانا أمير المؤمنين عن عدة وقوة إلا أدعوهم إلى حسن الطاعة، فدعوت الأمير منصور بن نوح السامانى إليها ولم يصغ إلى تذكيري وإنذاري، ونهض من بخارى بخيله ورجله وحشده يجمع على أهل الضلالة من أشياعه، فكان من شؤم رأيه أن اصطلمه جنده فسملوه وبايعوا أخاه عبد الملك بن نوح وملكوه، وجريت على عادتي مع هذا الأخير، أوفد إليه مرة بعد أخرى من يدعوه إلى الرشاد ويبصره إلى التمسك بطاعة مولانا أمير المؤمنين، فلم يزده الملك إلا استعصاء وتهورا في الضلال، فلما أيست من فيئه، نهضت إليه بمن معي حتى أهب الله ريح الظفر لأوليائه وانجلت المعركة عن ألفي قتيل من أبطالهم".

انظر: مسكويه،ابو علي احمد بن محمد، تجارب الأمم،تحقيق سيد كسروي حسن،دار الكتب العلمية،بيروت الجزء7،ص06

السابق الطائع بالله[1].ويبدو أن محمودا بعث بهذه الرسالة إلى الخليفة العباسي، في محاولة منه لتبرير دخوله خراسان وسيطرته عليها، وهي ولاية خاضعة لنفوذ السامانيين، لكي يكسب رضى الخلافة ويحصل على تأييد رسمي منها، فقد اتهم السامانيين بالتنكر والجحود للخلافة العباسية وعدم اعترافهم بالخليفة الجديد القادر بالله– وإذا كان محمود بالفعل قد قصد من وراء عمله تأديب السامانيين جزاء خروجهم عن طاعة الخلافة، فقد كان الأولى به أن يوجه جيوشه بعد فراغه من خراسان إلى بخارى حيث يقيم هناك أمراء السامانيين الخارجين عن طاعة الخلافة على حد قول محمود في كتابه، ولكن ما يظهر لنا أن محمودا كان يتحين الفرصة لتوسيع رقعة دولته، وقد طال انتظاره في ذلك حتى أنه اتخذ من حادثة عزل الأمير السامانى منصور بن نوح بتدبير من قادته، ذريعة لكي يصل من خلالها إلى هدفه بالاستيلاء على خراسان[2]، ثم ما لبث أن اتهم أمراء السامانيين بالخروج على الخلافة وقد أشار الى ذلك في رسالته التى بعث بها الى الخليفة[3]، وبذلك أصبحت الخطبة في خراسان لمحمود وللخليفة القادر بالله[4]، ولم يمض وقت طويل حتى وصلت إلى محمود مباركة الخليفة لما قام به، وعبر الخليفة عن رضاه بذلك، ومنح محمودا بعض الألقاب الفخرية مثل: نظام الدين[5]، ويمين الدولة وأمين الملة، وصار لقبا رسميا له بعد ذلك[6]، وظهرت هذه الألقاب على العملة، التي أصبحت تحمل اسمه[7].

وعلى الرغم من انسلاخ خراسان من تبعيتها للسامانيين فإن الأمير عبد الملك ابن نوح لم يركن إلى الهزيمة التي ألحقها به محمود، بل أصر على محاربته واستعادة خراسان

---

(1) ابن الأثير،المصدر السابق، مجلد8 ص4

(2)أبو الفداء، المصدر السابق، مجلد1 جزء2ص134

(3)مسكويه،المصدر السابق، ص06

(4)مسكويه: نفس المصدر، ص ص06-07.

(5)إيمان علاء الدين المرجع السابق،ص82

(6) العتبي،المصدر السابق،الجزء الأول ص317

(7) حسن محمود/ أحمد الشريف: العالم الإسلامي ،المرجع السابق ص472

منه،فجمع كبار القادة المعادين له، وعلى رأسهم فائق وبكتوزون، وحشد جمعا غفيرا في بخارى سنة 389ه/998م للقضاء على محمود، الذي أضعف نفوذهم، لكن خططه باءت بالفشل، وساءت الأمور أمام الأمير السامانى بعد وفاة فائق الذي كان يمنيه بإمكانية إعادة ترتيب الصفوف لحرب محمود، ففت ذلك من عضد السامانيين وأضعف شأنهم[1]. وبذلك طويت صفحات السيادة السامانية على خراسان، بل وعلى بخارى نفسها التي تعرضت في نفس السنة 389ه/998م لأطماع قوة خارجية أخرى هي قوة (إيلكخان) التركية[2]، حيث جاءت الفرصة التي ينتظرها إيلكخان، فاتخذ من سيطرة محمود على خراسان ذريعة للتدخل في الشؤون السامانية، وزحف بجيوشه نحو بخارى، وأظهر في أول الأمر ولاءه للأمير السامانى عبد الملك بن نوح الذي انخدع بذلك ولم يأخذ جانب الحذر، بل أمر (بكتوزون) وغيره من القادة السامانيين بالخروج من بخارى لاستقبال إيلكخان والترحيب به[3]، وعند وصول أولئك القادة إلى معسكر إيلكخان أمر باعتقالهم والقبض عليهم بعد تجريدهم من أسلحتهم[4]، ودخل بخارى دون أن يجد مقاومة تذكر حيث كان الأمير عبد الملك في نفر قليل من جنده، ولم يجد حيلة يتخلص بها من هذا العدو الغادر غير الاختفاء، وبالرغم من إقدامه على ذلك فإنه لم يفلت من قبضة إيلكخان الذي بث العيون في طلبه حتى ظفروا به، وتم ترحيله مع جميع أفراد أسرته إلى أوزكند[5]، حيث مات فيها[6].

---

[1] أبو الفداء، المصدر السابق، مجلد 1، جزء2 ص 134.

[2] ايمان علاء الدين المرجع السابق ص83

[3] العتبي،المصدر السابق،319/1

[4] ابن الأثير المصدر السابق،مجلد 8 ص5.

[5] أوزكند: إحدى مدن ما وراء النهر من نواحي فرغانة، وينسب إليها أبو الحسن الأوزكندي وغيره، الحموي: معجم البلدان، مجلد1ص 280

[6] العتبي نفس المصدر، 320/1، فامبري: تاريخ بخارى، (ص123).

3-حملات السلطان محمود وفتوحاته في شبه القارة الهندية:

أصبحت فتوحات الغزنويين في بلاد الهند أوسع نطاقا وأكثر تنظيما في عهد السلطان محمود، فإليه يرجع الفضل في ترسيخ الإسلام في هذه البلاد وتثبيت حكمهم فيها.[1]

وقد سار السلطان محمود الغزنوي، على نفس سياسة أبيه، التي ترتكز على بسط سيطرته على بلاد الهند. وقد ساعده على ذلك، قرب مدينة غزنة، من بلاد الهند الشمالية، ووقوعها على الهضبة التي تشرف على سهولها. ورأى في بلاد الهند ميدان الجهاد الأكبر، فغزاها سبعة عشرة غزوة، في مدة سبعة وعشرين سنة، بين (390-417ه/1000-1026م)[2]. كانت نتيجتها خضوع شمال شبه القارة الهندية، من بنارس،[3] إلى غزنة، ومن الهمالايا،[4] إلى الدكن.[5] ونجح في نشر الإسلام، وإحلاله محل البرهمية في كل مكان وطأته أقدامه.[6]

وقد سلكت جيوشه الطريق الذي سلكه الاسكندر الأكبر، وغيره من الفاتحين الذين سبقوه، إلى غزو الهند، وهو طريق الممرات الموجودة في جبال هندكوش وسليمان،[7] في شمال

---

[1]-Lane-pool, op.cit, p : 18.

[2]- الساداتي، المرجع السابق، 69، عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص 18.

[3]- بنارس (Bénarès) مدينة هندية على الغانج، إحدى مدن الهندوس المقدسة، المنجد في اللغة والإعلام،دار المشرق،بيروت،لبنان،الطبعة 20 ص 137.

[4]- الهمالايا، من أعلى سلاسل جبال العالم وأضخمها، تقع في آسيا شمال شبه الجزيرة الهندية تمتد في باكستان وكشمير والهند ونيبال والتبت ووبوتان، أعلى قممها إفرست 8848م، أنظر المنجد في اللغة والإعلام، ص 597-598.

[5]- الدكن (Dekkan)، هضبة واسعة شبه القارة الهندية جنوب نهر نربدا التي تضم ولاية كرناتاكا، المنجد، في اللغة والإعلام، ص 244.

[6]-Lane-pool, op.Cit, p: 13.

[7]-سليمان، جبال سليمان، كتلة جبلية في شمال باكستان الحالية، تشرف على سهول الهندوس، طولها 350كلم وأعلى قممها تخت سليمان 5633م، المنجد في اللغة والإعلام، ص 37.

شرقي الهند، ويسمى الباب الشرقي، وهو الذي دخل منه الآريون والإغريق والهون إلى بلاد الهند في الأزمنة القديمة.[1]

1) غزوة البنجاب وويهند:

واصل السلطان محمود سياسة أبيه ضد مملكة جيبال، فخرج في محرم، سنة 391ه/1001م، على رأس جيش يتكون من خمسة عشر ألف مقاتل، والتقى بجيش جيبال، الذي يقدر بنحو اثنا عشرة ألف فارس، وثلاثمائة من الفيلة، وثلاثين ألفا من المشاة[2]، عند مدينة بيشاور. وتمكن محمود من إحراز النصر، وأسر جيبال، ومعه جماعة من أهله وعشيرته، وقدر عددهم بخمسة عشرة رجلا، وغنم المسلمون من هذه المعركة مغانم كثيرة، منها قلادة للملك جيبال قدرت بمائتي ألف دينار، واستولى محمود على عدد من المدن الهندية.[3]ولما وضعت الحرب أوزارها، يوم الخميس 8 محرم 392ه/27 نوفمبر 1001 ميلادية، أطلق محمود سراج جيبال، مقابل فدية قدرها 250 ألف دينار وخمسون فيلا.[4] .

وترك جيبال رهائن لضمان وصول الفدية، ولم يستطيع الملك الهندوكي بعد إطلاق سراحه أن يبقى على قيد الحياة، بسبب ما لحقه من ذل ومهانة بعد أسره، فقد كان من عادة الهنود، أن من يقع منهم في الأسر، لا تقبل له رياسة بعدها، فتخلى جيبال عن الملك لابنه أندبال، وفضل الانتحار على طريقة الهنود، فحلق شعر رأسه وألقى بنفسه في النار، في شوال 392ه/أوت 1002م.[5]وبعد انتصاره على جيبال، توجه محمود إلى ويهند،[6] فحاصرها، وتمكن من فتحها عنوة. وقد بلغه أن جماعة من الهنود بشعاب تلك

---

(1)- علي محمد فريد، المرجع السابق، ص 177.

(2)- العتبي، المصدر السابق، ص 361-362، الكرديزي، المصدر السابق، ص 253.

(3)- العتبي، نفسه، ص 364، الكرديزي، نفسه، ص 253، ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 20.

(4)- العتبي، نفسه، ص 365، خديجة تلجوم، المرجع السابق، ص 74

(5)- العتبي، نفسه، ص 366، ابن الأثير، المصدر نفسه، مجلد 8، ص 20.

(6)- ويهند، مدينة تقع على الشاطئ الشمالي لنهر السند، الكرديزي، المصدر السابق، ص 289.

الجبال عازمين على الفساد، فسير إليهم طائفة من جنوده تمكنوا من القضاء عليهم، ثم عاد إلى غزنة سالما ظافرا.[1]

وكان من أثر ما أحرزه محمود من نصر في هذه الغزوة أن أطلق عليه لقب "الغازي".[2]

2) فتح بهاطية:

في سنة 395ه/1004م بعد أن فرغ محمود من أمر سجستان وصاحبها خلف بن أحمد وضمها إلى أملاكه، عاود فتوحاته في بلاد الهند، فاتجه أولا إلى بهيرة،[3] ففتحها وضمها إلى أملاكه،[4] ثم توجه إلى بهاطيه،[5] وصاحبها يعرف باسم (بجهرا)،[6]وهي مدينة حصينة، منيعة، حولها الأسوار والخنادق، فامتنع صاحبها بها، فطوق السلطان محمود المدينة، وأحكم محاصرتها، فخرج راجا بهاطية مغرورا بكثرة رجاله وأفياله، واشتبك مع الجيش الغزنوي، في معركة استمرت لمدة 03 أيام، اضطرت السلطان محمود أن يدخل بنفسه أرض المعركة، وقام ببث الحماسة في وسط جنوده، وحثهم على الجهاد، فتغيرت موازين القوى لصالح محمود وجيشه، فلما أدرك (بجهرا) ضعفه، ووهنه، أخذ جماعة من ثقاته، واعتصم بالجبال المجاورة.

فسير إليه محمود فرقة من جيشه، باغتته وأنزلت به الهزيمة. ففر ولاذ بإحدى القلاع، لكن السلطان لاحقة قبل أن يتمكن من التقاط أنفاسه، فردم المدخل وسيطر على مداخل

---

(1)– العتبي، نفسه، ص 367 ابن الأثير، المصدر نفسه، ص 21، الكرديزي نفسه، ص 254.

(2)– حسن إبراهيم حسن، المصدر السابق، ص 97.

(3)– بهيرة، مدينة على جهلم، أحد روافد السند، أحمد محمود الساداتي، المرجع السابق، ص 88.

(4)– فريد محمد علي، المرجع السابق، ص 178.

(5)– بهاطية، من أعمال الهند وهي وراء الملتان، أنظر ابن الأثير، المصدر السابق، مجلد 8، ص 33.

(6)– بجهرا، ذكره ابن الأثير بحيرا بدون هاء، أنظر ابن الأثير، المصدر نفسه، ص 33.

أما العتبي ذكره بجهرا بباء موحده مكسورة وبعدها جيم غليظة مشددة ثم هاء مثبتة في الخط ساقطة في اللفظ، أنظر العتبي الجزء الثاني، ص 67، و الكرديزي يذكره باسم بجير أو راجة وراجة كلمة هندية معناها الحاكم أو السلطان، الكرديزي، المصدر نفسه، ص 254.

المدنية، وتمكن من تحطيم أسوارها، وطارد ملكها بجهرا، الذي لاذ بالفرار، فلما أحيط به عمد إلى الانتحار، فأغمد خنجره في صدره، فمات.

وغنم المسلمون غنائم كثيرة، من الأموال والأفيال، ودخلت بهاطية في حوزة المسلمين، وأقام بها السلطان محمود ينظم شؤونها ويرتب قواعدها، ودعا أهلها إلى الإسلام، واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها، تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، ثم عاد إلى مقر حكمه في غزنة.[1]

3) إخضاع الملتان[2]: (396-401ه/1006-1010م):

كانت الملتان في يد القرامطة، وكان حاكمها أبا الفتوح داود بن نصر، على علاقة ودية مع سبكتكين، ثم مع ابنه محمود،[3] لكن هذه العلاقة لم تدم طويلا، بسبب ما وصل إلى محمود، عن خبث اعتقاد داود بن نصر، الذي كان على مذهب الباطنية، وأنه دعا أهل ولايته إلى ما هو عليه فأجابوه.[4]وقد عرف عن محمود، تمسكه بسنة محمد صلى الله عليه وسلم، ومحاربته للبدع.[5]

لذلك لم يتردد في الخروج إليه والقضاء عليه، لكن محمود وجد صعوبة كبيرة في عبور نهر السند، فطلب من أندبال أن يسمح له بالمرور عبر أراضيه، لكنه رفض ومنعه من العبور.[6] فقرر محمود البدء به، والسيطرة على مملكته. فلما علم أبو الفتوح بما حل باندبال بن جيبال هرب إلى جزيرة "سرنديب".[7]

---

(1)- العتبي، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص 67-68، الكرديزي، نفسه، ص 254.

-ابن الأثير، المصدر نفسه، ص 33.

(2)- الملتان:بلد من بلاد الهند على سمت غزنة،بها صنم تعظمه الهند وتحج اليه من أقصى بلدانها،أنظر ابن الاثير، المصدر نفسه ص34

(3)-خديجة ثلجوم ،المرجع السابق، ص 76.

(4)- العتبي،المصدر السابق ج2ص73

(5)- العتبي نفسه،ص ص 241،239

(6)- العتبي،نفسه،ص ص74،73،الكرديزي المصدر السابق،ص255

(7)- سرنديب،او سنكاليب،جزيرة في بحر هركند،ابن الاثير،المصدر السابق،ص34

وصل محمود إلى الملتان،وفرض عليها حصارا، حتى سقطت في يديه عنوة، وألزم أهلها دفع جزية كبيرة، عقوبة لهم على عصيانهم.[1]وبينما كان يقوم بتنظيم أمور الملتان، وصلت إلى محمود أخبار، عن مسير أيلكخان نحو خراسان، لذلك ترك الملتان، على وجه السرعة، وتوجه نحو غزنة.[2]

4) تمرد شكبال (سوخيال) نواسه شاه، وقضاء السلطان عليه (398ه/1008م):

كان شكبال (سوخيال) أحد أبناء ملوك الهند، دخل في الإسلام، واستخلفه السلطان محمود على بعض ما افتتحه من بلاد الهند، ولكن شكبال استغل ابتعاد السلطان محمود عن بلاد الهند، بسبب انشغاله بأمر أيلكخان، فارتد عن الإسلام، ومال لأهل الكفر والطغيان.[3]

ولما فرغ السلطان محمود من أمر أيلكخان، توجه مباشرة لتأديب شكبال، ففر شكبال من بين يديه، واستعاد محمود السيطرة على تلك الولاية، وبسط سلطانه عليها، وعين عليها واليا من قبله، ثم عاد إلى غزنة.[4]

5) معركةبهيم نغر:[5]

نظرا لازدياد قوة محمود وجيوشه، التي أصبحت خطرا على راجات الهند، عقد أندبال حلفا مع راجات كالنجر، أجمير، أوجين ودهلي،[6] وساروا للقاء المسلمين، وترأس جيش الهنود إبرهمن بن أندبال.[7]

---

[1]- العتبي،المصدر السابق ص75.

[2]- العتبي،نفسه،ص76.

[3]- العتبي، المصدر نفسه، ص 94، الكرديزي، المصدر السابق، ص 256.

[4]- العتبي، نفسه، ص 94، ابن الأثير، المصدر السابق، ص 39.

يذكر الكرديزي أن السلطان قبض على شكبال، في جبال كشنور، وعرض شكبال أربعمائة ألف درهم فمنحها السلطان (لتكين الخازن) وحبسه إلى أن مات في ذلك الحبس، الكرديزي، المصدر نفسه، ص 256.

[5]- بهيم نغر، من بلاد الهند، بهيم هذه، قلعة بنغر فنسبت إليها، أنظر العتبي، المصدر نفسه، ص 94، الكرديزي يذكرها (بهيم نكر)، ويقال لهذه القلعة (نكركوت)، وتسمى الآن (كانكره) وتقع في جنوب شرق لاهور، الكرديزي، المصدر نفسه، ص290.

[6]- أحمد محمود الساداتي، المرجع السابق، ص 89.

[7]- العتبي، نفسه، ص 96.

علم السلطان بمسير الهنود إليه، فخرج من غزنة في ربيع الثاني، من سنة 399ه/1008م، والتقى الجيشان عند شاطئ ويهند،[1] وحدثت معركة ليس لها مثيل في حروب محمود السابقة، ذلك أن الهنود أظهروا مهارات كبيرة في القتال، حتى كادوا أن يهزموا جيش المسلمين.[2]لولا أن السلطان محمود، ومجموعة من خواص غلمانه، هاجمت مؤخرة جيوش العدو، مما أدى إلى وقوع خلل في مقدمة الجيش، فأوقع بهم الهزيمة، وغنم 30فيلا،[3] ولحق بالهاربين، حتى وصل إلى قلعة "بهيم نغر"، الحصينة، وقد كان ملوك الهند، وأعيان أهلها، وجماعات النساك، من ذوي الأملاك، يدخرونها مخزنة للصنم الأعظم، فينقلون إليها أنواع الذخائر والجواهر النفيسة، التي تقربهم إلى ألهتهم، حسب اعتقادهم.[4] ولما حاصرها محمود، استسلم أصحابها، طالبين الأمان، وغنم السلطان غنائم كثيرة من هذا الحصن، وعاد بها إلى غزنة، حيث فرشها في ساحة قصره، ليراها سفراء الملوك، فأخذهم العجب، لأنهم لم يروا ولم يسمعوا بمثل هذه الثروة من قبل.[5]

6) غزوة نارين[6] (400ه/1009م):

في سنة 400ه/1009م، توغل السلطان محمود في بلاد الهند وسار إلى نارين فأرسل إليه حاكمها طالبا الصلح، فأجابه، على إن يرسل إليه خمسين فيلا، ومالا وفيرا، وأن يمده بالرجال في حروبه، فأرسل إليه بألفي رجل، وضعهم في خدمته في غزته، وأدى له جزية

---

(1)- ويهند، مدينة عظيمة على شط سند ردود، وهي ما بين برشو ولاهور، أنظر العتبي، المصدر نفسه، ص 96 في الكامل، نهر هندمند، ص 48.

(2)- العتبي، نفسه، ص 96.

(3)- العتبي، المصدر نفسه، ص 96.

(4)- العتبي نفسه، ص 97.

(5)- العتبي نفسه، ص 98-101، في زين الأخبار الكرديزي يذكر أنه في سنة 399ه/1008م سار السلطان محمود لمحاربة الدبال نفسه وهزمه ثم سار إلى بهيم نكر فحاصر القلعة فطلب أهلها الأمان وغنم الأموال، وعاد إلى غزنة سنة 400ه/1009م، زين الأخبار، ص 256.

(6)- نارين، قصبة كجرات في غرب الهند، قريبة من الحدود الباكستانية، العتبي، المصدر السابق، ص 120.

معلومة كل عام، وقد التزم الملك الهندي بهذه الشروط[1]، مما أدى إلى ازدهار التجارة وتتابع القوافل التجارية بين الهند وخراسان.[2]

7) تكملة فتوح السلطان محمود في الملتان:

في سنة 401ه/1010م خرج السلطان محمود من غزنة لإكمال فتح باقي ولاية الملتان، وتم له ذلك، وقبض على عدد من القرامطة، الذين كانوا في تلك الولاية، فقتل بعضهم وسجن آخرين في القلعة حتى ماتوا، وتمكن من القبض على أبي الفتوح داوود، الذي فر إلى سرنديب، وجاء به إلى غزنة، ثم حبسه في قلعة غوزك حتى مات بها.[3]

8) معركة ناردين:[4]

في سنة 404ه/1013م، استأنف السلطان محمود فتوحاته في بلاد الهند، بعد توقف دام سنتين، ولكن تساقط الثلوج على غير العادة في ذلك الوقت، منعه من إكمال المسير، بعد اختفاء معالم الطريق، فاضطر محمود إلى العودة إلى غزنة.[5] ومع حلول فصل الربيع لسنة 1014م، تقدم نحو ناردين، وما أن علم ملكها حتى استعد للقائه، فطلب المساعدة من حاكم كشمير، واتخذ موقعا حصينا بين جبلين، وسد ما بينهما من ممرات، بفيلته العظام، ولكن محمود استطاع رغم ذلك، أن يحرز نصرا جديدا، ويحصل على مغانم كثيرة[6]، ودمر صنم ناردين، أقدم أصنام بلاد الهند، وعاد إلى غزنة.[7]

---

(1)- العتبي،المصدر السابق، ص 121.

(2)- العتبي نفسه، ص 122.

(3)- الكرديزي، المصدر السابق، ص 257.

(4)- ناردين، وتسمى أيضا نندنة، بينها وبين الملتان مائتي ميل، أنظر البيروني،ابو الريحان محمد بن احمد تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة،عالم الكتب الطبعة الثانية 1403ه ، ص 270.

(5)- العتبي، المصدر السابق، ص 147.

(6)- العتبي، نفسه، ص 148-152.

(7)- العتبي نفسه، ص 153، دلت الكتابة الموجود على الصنم أنه يبني منذ 40 ألف سنة، المصدر نفسه والصفحة.

9) غزوة تانيشر[1] (405ه/1014م):

بعد رجوعه من حملة ناردين توجه السلطان محمود إلى تانيشر، لإخضاع صاحبها الذي تمادى بالكفر والطغيان، والعناد للمسلمين، وكان راجا تانيشر، يعتمد في حروبه، على نوع من الفيلة معروفة بشدتها وقوتها، كما كان في تانيشر، بيت للأصنام ،قديم جدا، يضم صنما يدعى (جكرسوم)، وكان هذا مما زاد في رغبة محمود بفتحها، والسيطرة عليها، وهدم بيت الأصنام هذا تقربا إلى الله تعالى.[2]ولما سمع ملكها بذلك، أخذ موضعا حصينا عند نهر (سوتلج)، فاحتمى به، وحاول منع السلطان، من عبور النهر،[3] ولكن محمود تمكن من إرسال بعض رجاله عبر النهر لتشتيت قوة المدافعين، ولم ينته النهار إلا وقد أحرز النصر على عدوه، وغنم الكثير من الأموال والفيلة، ثم عادا إلى غزنة، وقد أخذ معه صنم جكرسوم، لكي يراه الناس.[4] وترتب على هذا الانتصار، أن دان للمسلمين، إقليم البنجاب، وأصبح الطريق إلى سهول الهند، ممهدا أمامهم.[5]ثم توجه السلطان إلى قلعة نندنه[6]، فلما علم بذلك الملك (ترو جيبال) جعل في القلعة من يحفظها، وخرج هو إلى خليج كشمير، ووصل محمود إلى القلعة، فحصارها،و لما اشتد الحصار، طلب من في القلعة الأمان، وسلموا الحصن، فدخله محمود وحمل ما كان فيه من المال والسلاح، وعين أميرا على القلعة.[7] ثم توجه إلى كشمير، لمهاجمة ترو جيبال، إلا أنه فضل الفرار، فسيطر محمود على القلاع الموجودة بوادي كشمير، وأسلم عدد كبير من أهلها، فأمر

---

(1)– تانيشر بين نهري ألكنك وجون تبعد عن كنوج بقريب من ثمانين فرسخا، أنظر البيروني، المصدر السابق، ص 141.

(2)– العتبي، المصدر السابق، ص 153، ابن الأثير، المصدر السابق، ص 82.

(3) العتبي نفسه، ص 154.

(4)– العتبي نفسه، ص 154–155، الكرديزي، المصدر السابق، ص 257.

5– Munshi,(K.M) the struggle,for empire,Bombay 1966 p12

(6) بينها وبين الملتان حوالي مائتي ميل، أنظر البيروني، المصدر السابق، ص 242.

(7) – الكرديزي، المصدر نفسه، ص 258.

السلطان، أن تبنى المساجد، في كل الجهات التي فتحها، وأرسل من يعلم الهنود شعائر الإسلام.[1]

10) غزو كشمير:

في سنة 406هـ/1015، توجه محمود إلى كشمير، وسار إليها حتى وصل قلعة "الوهكوت الجبلية"، أي الحصن الحديدي، وهي قلعة تشتهر بحصانتها، ومناعتها، فضرب عليها السلطان محمود حصارا شديدا، وحينما استعد ليستولي على هذه القلعة، حلت البرودة الشديدة، وتساقطت الثلوج وتجمعت، حتى أصبحت الأيدي لا تتحرك، من شدة البرودة. فاضطر السلطان محمود للانسحاب بجيشه، إلى الصحراء، وفي الربيع عاد إلى غزنة.[2] كان من أثر الانتصارات الكبيرة إلى أحرزها السلطان محمود في بلاد الهند والغنائم الكثيرة التي حصل عليها جيشه، أن تدفق على السلطان محمود، عشرين ألف من المتطوعة، من بلاد ما وراء النهر، وغيرها من بلاد المشرق الإسلامي، فقوى بذلك الجيش الغزنوي، وزاد تعداده.[3]الشغل السلطان محمود بعض الوقت بأمر خوارزم، بعد مقتل صهره هناك، واضطراب أمورها، ولما فرغ منها، ورتب شؤونها ،عاد إلى فتوحه في بلاد الهند.[4]وقد اتخذت حملاته هذه المرة، شكلا أوسع وأكبر، لأن خطوط مواصلاته، بين غزنة وبلاد الهند، أصبحت متصلة وطويلة، حتى أنه كان يقطعها في ثلاثة أشهر، من السير المتواصل. عبر محمود وجيشه نهر سيحون قاصدا كشمير، وقد مهد لفتحها بأن سيطر على البلاد التي بينه وبين كشمير، فلما بلغ مشارفها، أتاه حاكمها (جنكى بن سمهى)، مقدما فروض طاعته وولائه، وأسلم على يديه، متعهدا بأن يكون مرشدا لجيش السلطان، إلى الطرقات السهلة المستقيمة.[5] واصل محمود سيره إلى نهر جون[1]فوصله

---

(1) – الكرديزي، نفسه، ص 258.

(2)– الكرديزي، المصدرالسابق، ص 258.

(3)– عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص 22.

(4)– ابن الأثير، المصدر السابق، ص 94-95.

(5)– العتبي، المصدر السابق، ص 263-265.

في رجب 409هـ/ديسمبر 1018م.[2] وفتح ما حوله من الولايات والحصون المنيعة حتى بلغ حصن هوديب.[3]

فأستسلم صاحبه ودخل هو وعشرة آلاف من جنده في الإسلام وتركوا عبادة الأصنام، فترك فيهم محمود من يعلمهم أمور دينهم.[4] واصل السلطان محمود زحفه إلى قلعة كالجند،[5] والطريق إليها غياض ملتفة، لا يمكن اجتيازها، إلا بشق الأنفس، وكان صاحبها كما يقول العتبي[6]: " من أعلام الشياطين، واعيان أولئك الملوك الملاعين.." فسير جيشه إلى أطراف تلك الغياض، كي يمنع المسلمين من اجتيازها، ولكن الجيش الغزنوي أحبط محاولة النيل منه، وألحق به خسائر فادحة.[7] لذلك عمد صاحب كلجند إلى زوجته، فقتلها، ثم قتل نفسه بعدها، وغنم المسلمون أمواله وملكوا حصونه.[8] وسار محمود إلى بيت الأصنام المشهورة بهذه البلاد "مهره الهند"[9] ففتحها، رغم ما كانت تتمتع به من حصانة، حيث تقع على قمة جبل مرتفع، تحيط به المياه وبها عدد كبير من القصور في منتهى الرصانة والحصانة، كما أنها تحتوي على عدد من بيوت الأصنام التي أتقن بناؤها إتقانا عظيما، وكان من جملة الأصنام خمسة أصنام من الذهب الأحمر، مرصعه بالجواهر، فأمر محمود بإحراق الأصنام ومر عليها المسلمون بأقدامهم إهانة لها.[10] لم يكتف السلطان بما حققه من انتصارات، وإنما تابع سيره إلى مدينة

---

(1)- نهر جون، يصب في نهر ألكنك أسفل مدينة كنوج، البيروني، المصدر السابق، ص 193.

(2)- ابن الأثير يذكرها في رجب 407هـ، المصدر نفسه، ص 95.

(3)- يذكره العتبي هردب، المصدر السابق ، ص 266، ويذكره ابن الأثير هودب في الكامل، المصدر نفسه، ص 95.

(4)- ابن الأثير، المصدر نفسه، ص 95.

(5)- كلجند، يذكرها الكرديزي، مهاون، وأميرها كلجندر، الكرديزي، المصدر السابق، ص 260.

(6)- العتبي، المصدر السابق، ص 267.

(7)- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 95-96.

(8)- العتبي، المصدر السابق، ص 271، الكرديزي، المصدر السابق، ص.260

(9)- مهرة الهند، متعبد للهنود، العتبي نفس المصدر، ص 273 والكرديزي، يذكرها ما تورة وهي مدينة عظيمة وبيت صنم.

(10)- العتبي نفسه، ص 274-275، الكرديزي نفسه، ص.

كنوج.[1]وكان ملكها راجيبال من كبار ملوك الهند، ينقاد جميعهم إليه، لأن كنوج مقر عبادتهم ومحل أصنامهم، فأراد محمود أن يقبض عليه لكي يرهب بقية الملوك لكن راجيبال غادرها وفر هاربا[2]

وعبر محمود نهرألكنك[3] وهو نهر مقدس عند الهنود.وتوجد بمدينة كنوج سبع قلاع، على نهر انكنك، وبها حوالي عشرة آلاف بيت للأصنام،فاقتحم محمود هذه القلاع في يوم واحد وأباحها العسكرة يأخذون ما فيها حلالا طيبا.[4]وبعد ذلك اتجه السلطان محمود إلى قلعة "آسي،"[5] التي تتمتع بحصانة كبيرة، وعندما علم صاحبها [جندال بهور]،[6] بزحف محمود، أصابه الرعب والخوف، ورأى أنه لا قبل له بمقاومة الجيش الغزنوي، لذلك قرر الفرار، وأمر بتخريب القلعة. فأمر السلطان محمود فريقا من جيشه بتتبع جندال بهور، وتمكنت القوات الغزنوية من قتل وأسر عدد كبير منهم وغنمت غنائم كثيرة.[7] ثم سار عنها نحو قلعة "شروة"، وصاحبها جنداري، فلما اقتربت الجيوش الغزنوية منها، نقل ماله وفيلته إلى جبال منيعة، فاقتحم السلطان حصنه وغنم ما فيه.[8]

ثم تتبع جنداري ولحقه في آخر شعبان من سنة 409ه/1018م، ودارت بينهما معركة قتل وأسر فيها العديد من الهنود.[9]حصل الجيش الغزنوي من هذه المعارك، على غنائم هائلة، وكثيرا من السبايا، حتى أن العبد كان يباع بأقل من عشرة دراهم، وكان مجموعة ما غنمه

---

(1)– كنوج، مدينة على غرب نهر كنك/ انظر: البيروني، المصدر السابق، ص 121.

(2)– العتبي، المصدر نفسه، ص: ابن الأثير، نفسه، ص277.

(3)– نهر الكنك، يمر شرق كنوج، وهو نهر مقدس عند الهنود، البيروني، المصدر نفسه، ص 193، العتبي نفسه ص 277.

(4)– العتبي المصدر نفسه ص 275-278.

(5)– قلعة آسي، تقع على شط نهر جون، العتبي، المصدر نفسه، ص.

ابن الأثير، المصدر نفسه، ص 96.

(6)– يذكر ابن الأثير جند بال في حوادث سنة 407ه، المصدر نفسه، ص 96.

(7)– العتبي، المصدر نفسه، ص 279-282، ابن الأثير، نفسه، ص 97.

(8)– العتبي، نفسه، ص ص283-286، ابن الأثير، نفسه، ص 97.

(9)– العتبي المصدر السابق،ص ص 286-287، ابن الأثير، نفسه، ص 97.

السلطان محمود من هذه الحملة عشرين مليون درهم، وثلاثة وخمسين ألف من السبايا وأكثر من ثلاثمائة وخمسين فيلا[1] وأمر السلطان محمود بتشييد المساجد في كل مكان، حتى يعلموا أهل هذه البلاد شرائع الإسلام، ويغسلوا عنها دنس الشرك والوثنية، ورجع إلى غزنة ظافرا منصورا، وأنفق ما حصل عليه في هذه الغزوة، من مال وفير، في تشييد جامع كبير بغزنة، بني بناء لم يسمع بمثله في ذلك الوقت.[2]

رفض ملوك الهند، الذين سقطت مدنهم وأقاليمهم، في أيدي السلطان محمود، الاستسلام. فسعوا إلى التخلص من نفوذه، وسيطرته، وتزعم هذا التمرد الملك نندا ملك كجوراهة.[3] وهو أعظم ملوك الهند، وأكثرها جيشا، وهو الذي أرسل إلى راي كنوج،[4] راجيبال، يوبخه على انهزامه، وتسليم بلاده للمسلمين، وآل الأمر بينهما إلى اختلاف، ودخلا في معركة انتهت بمقتل راي كنوج. فضاعف ذلك النصر نفوذ نندا، والتف حوله ملوك الهند المجاورين، وعقد اتفاقية تعاون مع ترو جيبال، ووعده بالمساعدة في استرداد بلاده، من يد السلطان الغزنوي، فازدادت قوته، ورأى فيه ملوك الهند، القائد المخلص لهم و لبلادهم من سيطرة الغزنويين.[5]

وفي 410ه/1019م خرج السلطان محمود على رأس جيش كبير إلى بلاد الهند قاصدا ترو جيبال ودارت بينهما معركة انهزم فيها ترو جيبال، وفر هاربا مع عدد قليل من أصحابه، ودخل الجيش الغزنوي مدينة بارى.[6]فوجدها خالية من السكان، فأحرق معابدها، وكسر أصنامها، وغنم ما وجده فيها.[7]

---

(1)–الكرديزي، المصدر السابق، ص 261.

(2)– العتبي، المصدر السابق، ص 290، ابن الأثير، المصدر نفسه، ص 97.

(3)– كجوراهة، لم أقف لها على ترجمة.

(4)– راي، هو لقب الملك، كقيصر وكسرى، أنظر ابن الأثير، نفس المصدر، ص 123.

(5)– الكرديزي، المصدر السابق، ص 261، عصام الدين الفقي، المرجع نفسه، ص 23.

(6)– بارى، تقع على الضفة الشرقية لنهر الكنك/ البيروني، المصدر السابق، ص 142.
الكرديزي، المصدر نفسه، ص 291، هوامش كتاب زين الأخبار.

(7)– الكرديزي، المصدر نفسه، ص 262.

ثم زحف الجيش الغزنوي بعد ذلك، قاصدا مملكة كجوراهة، وصاحبها نندا، فاستعد الأخير وتهيأ للحرب، وجمع جيشا عظيما، يتألف من ستة وثلاثين ألف فارس، وخمسة آلاف ومائة وأربعين مترجلا، وستمائة وأربعين فيلا، مزودين بالأسلحة اللازمة. وحينما اقترب السلطان محمود منه، نزل، وهيأ جيشه، وأرسل الطلائع، ونزل بحزم واحتياط، وأرسل إلى نندا، أن أسلم تسلم، من هذه المحنة، وهذا الفساد، فأجابه نندا، "لن يكون لي معك أمر غير الحرب".[1]ويذكر الكرديزي[2] أن السلطان محمود لما استطلع جيش العدو، قبيل الدخول في المعركة، رأي ما هاله من استعدادات، وضخامة جيش العدو وعتاده، فشعر بلوح من الندم، فطلب من الله تعالى العون، وسأله النصر والظفر على الأعداء، وفي مساء ذلك اليوم، أصيب الملك نندا بالرعب، وشعر بالوهن، ولاذا بالفرار ليلا دون قتال، وغنم المسلمون مالا كثيرا.[3] وعاد السلطان محمود إلى غزنة بالنصر والظفر، وفي طريقهم، اعترضتهم غابة كثيفة، فدخل الجيش فيها، فوجدوا خمسمائة وثمانون فيلا، تخص الملك نندا فساقوها جميعا.[4]وفي سنة 411ه/1020م توجه السلطان محمود إلى نهرى قيرات ونور،[5] حيث بلغه أن أهل تلك الجهات كفار يعبدون الأصنام، فقصد محمود قيرات أولا، بعد أن أرسل العمال والصناع يمهدون له الطريق، ولما وصل الخبر لشاه قيرات بادر بتقديم فروض الطاعة، وطلب الأمان، فاستقبله محمود وأكرمه، وأسلم

---

(1)- الكرديزي، المصدر نفسه، ص 262.

(2)- الكرديزي، المصدر نفسه، ص 262.

(3)- خالف ابن الأثير ما ذكره الكرديزي وذكر أن معركة دارت بين الطرفين يوما كاملا ولما أدركهم الليل توقف القتال ففر نندا هاربا تاركا وراءه خزائن الأموال والسلاح فاستولى عليها الغزنويون، ثم اقتفى محمود أثار المنهزمين فلحقهم في الغياض والأجام وأكثروا فيهم القتل والأسر ونجا بيدا وحيدا، ابن الأثير، المصدر، نفسه، ص 125.

(4)- الكرديزي، المصدر نفسه، ص 262.

(5)- نهري قيرات ونور، من روافد نهر كابل، البيروني، المصدر السابق، ص 192.

ناس كثيرون من أهلها، أما أهل نور فقد تمردوا، فأمر محمود عليا بن آيل أرسلان،[1] بفتح تلك البلاد ونشر الإسلام فيها.[2]

وبعد عودته إلى غزنة، كتب السلطان محمود إلى الخليفة العباسي القادر بالله في بغداد، يخبره بما فتح الله عليه، من بلاد الهند، ومدى انتشار الإسلام فيها. فابتهج الخليفة العباسي وأعلن هذا النبأ السار على الناس، فشاركوه ابتهاجه، وكان ذلك بمثابة عيد عظيم في بغداد، وأنعم على السلطان محمود بالألقاب والخلع.[3]

استمر الملك نندا، في تأليب الأمراء والملوك الهنود، محاولا تشكيل حلف عسكري، لكسر شوكة السلطان محمود، وتخليص بلاد الهند من الحكم الإسلامي.ونتيجة لذلك، قرر السلطان محمود، سنة 413ه/1022م، أن يضع حدا لتصرفات هذا الملك. فتوجه بجيشه إلى قلعة (كواليار)[4]، وضرب عليها الحصار، وطوق جميع جوانبها، لشدة حصانتها، ولكثرة ما بها من الحجارة الشديدة المنعة، بحيث لم يستطيع الحفارون، ولا الرماة الاستيلاء عليها. وبسبب شدة الحصار، وطول مدته، اضطر قائد القلعة، إلى إرسال رسول يطلب الصلح. فأجابه السلطان إلى مطلبه،مقابل 35 فيلا. ورجع الجيش الغزنوي من هناك،[5]وذهب إلى قلعة كالنجر، مقر الملك نندا. وأمر السلطان محمود جيشه بتطويق القلعة، لأنها تقع على مكان منيع وشاهق الارتفاع، لا طريقة للوصول إليه، وظل على هذه الحال عدة أيام. ولما رأى نندا عدم قدرته على تحمل الحصار، أرسل لعقد صلح مع السلطان محمود.[6] وتم الاتفاق، على أن يدفع نندا جزية سنوية، وأن يقدم في الحال هدية،

---

(1)– انتهى أمره، بأن اعتقل في قلعة كرك سنة 421ه/1030م، أنظر البيهقي، المصدر السابق، ص 58 96.

(2)– الكرديزي، المصدر نفسه، ص 262-263.

(3) الاتابكي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، الجزء الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت ط1 1992، جزء 4، ص 245.

(4) – كواليار، تقع جنوب أكره يفصلها 23 ميلا عن دهولبور، عفاف زيدان، هوامش كتاب زين الأخبار، ص 291.

(5) – الكرديزي، نفسه، ص 263.

(6) – الكرديزي، المصدر السابق، ص 263.

وثلاثمائة فيل. وبادر نندا بتنفيذ الصلح المبرم، وأنشد شعرا بالهندية، يمدح فيه السلطان محمود، فعرض محمود هذا الشعر، على الشعراء الهنود و والعرب، فأعجبهم، وقالوا، ليس من الممكن نظم كلام أبلغ وأرفع منه، فافتخر السلطان محمود بذلك، وأصدر منشورا سلطانيا، يقلد نندا إمارة خمسة عشر قلعة، وأرسله إليه، وقال له السلطان، هذا عطاء ذلك الشعر الذي نظمته من أجلنا. وأرسل له هدايا كثيرة من الطرائف والمجوهرات والخلع، ورد نندا على الهدية بأحسن منها وعادا السلطان من هناك ظافرا منصورا.[1]

11)فتح سومنات:[2]

تتابعت غزوات السلطان محمود وانتصاراته في شبه القارة الهندية. واشتهر أمرهُ وعظمت هيبته في نفوس أهلها، وذاع صيته في إقليم الشرق الإسلامي كله، وبسبب الحملات العسكرية المتتابعة على بلاد الهند، فقد انهارت المراكز السياسية لتلك البلاد، وسقطت الأسر الهندوكية، وفتحت المدن، وتم عبور الأنهار الهندية، التي كانت تمثل سدا منيعا، أمام الجيش الغزنوي، ودخلت أعداد هائلة من أهل الهند في الإسلام، وانضم لمعسكرات السلطان محمود العديد من أبناء البلاد المفتوحة.[3]وعلى الرغم من ذلك، بقيت بعض المراكز الدينية، التي كان السلطان محمود لا يأمن جانبها على مناطق نفوذه في الهند، وكانت سومنات أشهر هذه المراكز وأعظمها عند الهنود.[4]فهم يرون أن صنم سومنات، يحي ويميت، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وأنه يشفي الأبرص، والأعمى، والأصم، وزعموا، أن الأرواح إذا فارقت الأجساد، تجتمع لديه، فينشئها، وهذا على مذهبهم في التناسخ. كما زعموا أن ظهور مد البحر، المتصل بقلعته، وجزره، عبادة من البحر لصنمهم سومنات. وكانوا يحجون إليه، ليلة كل خسوف، فيجتمع عنده، ما يزيد عن

---

[1]– الكرديزي، المصدر نفسه، ص 264.

[2]– سومنات، بلدة مشهورة من بلاد الهند على ساحل البحر وهي مدينة مقدسة لدى الهنود لأن فيها صنمهم الأكبر سومنات الذي يحج إليه الهنود من كل مكان، أنظر القزويني، المصدر السابق، ص 95-96.

[3]– فريد محمد علي، المرجع السابق، ص 189.

[4]– فريد محمد علي، نفس المرجع والصفحة.

مائة ألف إنسان، يحملون إليه كل نفيس، ويغدقون الأموال على سدنته، وله من الموقوف ما يزيد عن عشرة آلاف قرية، ويقوم على عبادته ألف من البراهمة وثلاثمائة رجل يحلقون رؤوس زواره ولحاهم، ويغني على بابه خمسمائة امة وثلاثمائة رجل.وقد بلغ محمود، أنه كلما حقق في الهند فتحا، أو كسر صنما، يقول الهنود: إن سبب ذلك إنما هو سخط البد، ولو كان راضيا عنها، لأهلك من قصدها بسوء.كما يعتقد الهنود، أنه من لم يخلص له في الطاعة لم يستحق منه الإجابة.ولا يوجد في بلاد الهند على تباعد أقطارها، وتفاوت أديانها، من ملك، أو أمير، إلا ويقدم ويحمل لهذا الصنم الكثير من الأموال.[1]ويعتقدون، أن القمر يأتي كل ليلة، لغسل هذا الصنم وعبادته، و أن كريشنا إله البراهمة قد ظهر أمام هذا الصنم واختفى فيه أيضا.[2] وغير ذلك من المعتقدات الباطلة، ومهما يكن، فإن السومنات، كانت تعتبر من أخطر مراكز المقاومة والعدوان الهندوكي، ومركزا للأموال، التي كانت تنفق على الأعمال الحربية، كما كان إقليم الكجرات،[3] الذي يقع فيه هذا الصنم، أعظم المراكز التجارية الهندية منذ القدم.[4] فقرر محمود تدميره، اعتقادا منه أن الهنود إذ فقدوه، ورأوا كذب إدعائهم الباطل، دخلوا في الإسلام.[5] فخرج من غزته في 10 شعبان 416ه 17 أكتوبر 1025م، وسلك طريق الملتان، فوصلها منتصف رمضان وعبر صحراء تآر أكبر صحاري الهند،[6] ولما اجتازها، رأى في طرفها، حصونا مشحونة بالرجال،ففتحها ودمر أصنامها وحصل منها على الماء والميرة

---

(1)– ابن الأثير، المصدر السابق، ص 148، القزويني، المصدر السابق، ص 95-96.

(2)– إيمان علاء الدين إبراهيم، المرجع السابق، ص 116.

(3)– الكجرات، بضم الكاف وإسكان الجيم، إقليم طوله 302 ميل وعرضه 260 ميل ويشتمل على ثلاثة عشرة مدينة، أشهرها كيناية وسومناة، أنظر: عبد الحي الحسيني، الهند في العهد الإسلامي راجعه وقدم له أبو الحسن على الحسني الندوى، دار عرفات، الهند 2001، ص 85.

(4)– إيمان علاء الدين إبراهيم، المرجع السابق، ص 116.

(5)– ابن الأثير، المصدر السابق، ص

(6)– أحمد محمود الساداتي، المرجع السابق، ص 95.

اللازمين لرجاله.[1] ثم سار إلى قلعة [إنهلوارة][2]، عاصمة الكجرات، ففر صاحبها وتركها، فسيطر عليها محمود، ثم اتجه إلى سومنات، فلقي في طريقه حصونا عدة، فيها كثير من الأوثان، فقاتل من فيها، حتى فتحها وضربها وكسر أصنامها. وتابع سيره إلى سومنات في مفازة قليلة الماء، واشتبك مع الهنود فهزمهم، وغنم ما معهم، ثم واصل سيره حتى بلغ (دبولوارة)وهي مدينة على مرحلتين من سومنات فثبت أهلها ظنامنهم أن صنمهم [البد] يمنعهم، فسيطر عليها محمود، وغنم أموالها.[3]استمر محمود في سيره حتى وصل سومنات يوم الخميس منتصف ذي القعدة 416ه حانفي 1026 م فرأى حصنا منيعا على ساحل البحر وأهله على الأسوار وكلهم ثقة أن صنمهم سيدافع عنهم ويهلك المسلمين.[4] رأى الهنود أن المسلمين يقاتلون قتالا، لم يعهدوا مثله، ففارقوا السور ونصب المسلمون عليه السلالم، وصعدوا إليه، وأعلنوا بكلمة الإخلاص وأظهروا شعار الإسلام، فاشتد القتال، وتقدم جماعة الهنود إلى سومنات، فعفروا له خدودهم، وتضرعوا اليه لعله ينصرهم، وأسرعوا إلى صنمهم يقاتلون عنه بعنف وضراوة، وحمل عليهم الجيش الغزنوي حمله أخذت الكثير منهم، وكان الفريق منهم بعد الفريق، يدخلون إلى صنم سومنات فيعانقونه، ويبكون، ويتضرعون إليه، ثم يخرجون فيقاتلون، إلى أن يقتلوا جميعا، حتى كاد الفناء يأتي عليهم.[5] وقد أحدثت سهام الغزنويين رعبا وفزعا في صفوف المدافعين عن القلعة، وأجبرتهم على الانسحاب إلى الداخل، تاركين أسوارها بدون حراسة، فتسلق المسلمون جدار السور، وأطلقوا صيحة التكبير، إلا أن الهنود الذين سقطوا تحت أقدام السومنات، هجموا دفعة واحدة وأجبروا المسلمين على التقهقر، لكن المسلمين عقدوا العزم على دخول المعبد، وتحطيم الصنم، مهما كلفهم الأمر.

---

(1)– ابن الأثير، المصدر السابق، ص.

(2)– أنهلوارة= نهروالة، مدينة في الهند على بعد 400 كلم من سومنات: البيروني، المصدر السابق، ص 145.

(3)– ابن الأثير، نفسه، ص 149.

(4)– ابن الأثير، المصدر نفسه، ص 149.

(5)– ابن الأثير، المصدر نفسه، ص 149–150، القزويني، المصدر السابق، ص 96.

فشن الجيش الغزنوي هجمات متتالية أنهكت قوى الهنود، عندئذ سارع (بهيم ديو) حاكم (نهراوله) لإمداد أهل القلعة، ولكن دون جدوى، إذ أن السلطان محمود، اشترك بنفسه في معركة تحطيم سومنات، وقام بحث جنوده، وتشجيعهم، حتى فتحت القلعة في آخر الأمر.

كان من نتائج الهجوم على سومنات مقتل أعددا كبيرة من أهلها، وهروب جماعات منهم عبر السفن، ولما دخل السلطان محمود معبد سومنات، وتوجه صوب الصنم الكبير، لتحطيمه، تقدم أعيان البلدة، وكهنتها، وعرضوا عليه مبلغا طائلا من المال، على أن يترك صنمهم على حاله.[1]ولما استشار السلطان أصحابه، أشاروا عليه بقبول عرض الهنود، ويوزع المال على الذين جاهدوا معه، لكن السلطان محمود أبى ذلك قائلا: إنه جاء إلى المدينة ليكسر صنمها لا ليبيعه إلى أهلها"، ثم أردف قائلا: " لو أنا فعلت ذلك فإن المسلمين يسموننني محمود بائع الأصنام ولو حطمته فسوف يسموننني محمود محطم الأصنام، وأحسن لي في الدنيا والآخرة أن يسموننني محمود محطم الأصنام لا محمود بائعها. وجرد سيفه وضرب به ذلك التمثال العظيم وأمر جنوده أن يحطموه ففعلوا، وبينما هم يكسرونه، عثروا في جوفه على جواهر ولآلئ، وأموال كثيرة جدا، تزيد عن المبالغ والأموال، التي عرضت على السلطان زيادة هائلة، ففهم السلطان محمود غايتهم من ابتياعه[2]، وصعد المؤذن على سطح المعبد وأذن للصلاة وحطموا الأصنام، واحرقوها وأبادوها، واقتلعوا سومنات من جذوره وفتتوه ونقلوه إلى غزنة فجعلها عتبة لجامعها.[3]أمر السلطان عقب تحطيم الصنم بتحويل كل ما كان بداخل المعبد من مجوهرات وذهب إلى الخزانة، ودمر المعبد،وبنى مسجدا بدلا منه. ودخل بقايا سكان

---

[1]- فريد محمد علي، المرجع السابق، ص 191.

[2]- فريد محمد علي، المرجع السابق، ص 192.

[3]- الكرديزي، المصدر السابق، ص 262، عصام الدين، المرجع السابق، ص 25.

القلعة في الإسلام.[1] ويقدر غوستاف لوبون، مجموع ما غنمه المسلمون، من كنوز معبد سومنات، بنحو 250 مليون فرنك.[2]

يعتبر فتح سومنات من دون شك أعظم انتصارات السلطان محمود في بلاد الهند فقد فاق ما لاقاه من مصاعب ومتاعب فيها ما عاناه كل الذين سبقوه إلى دخول هذه البلاد ومنهم الاسكندر المقدوني، ولكنه تمكن من إنزال أكبر ضربة، بأمراء الراجبوت فضاع من بعدها، كل أمل لهم، في استرداد سابق هيبتهم بالهند.[3]

غضب بعض ملوك الهند، وساءهم ما لحق بمعبدهم الأكبر بسومنات، فأعدوا العدة لمقاومة الغزنويين، ومنهم حاكمنهروالة "بهيم ديو" الذي خرج لملاقاة السلطان محمود، إلا أنه ولى هاربا، وقصد قلعة "كندهه"،[4] قرب السومنات، فتعقبه محمود، ولم يستطع صاحب كندهة مقاومته، ففر هاربا إلى بلاده.[5]

ثم واصل السلطان محمود سيره إلى المنصورة، التي ارتد صاحبها عن الإسلام، فأخضعها وقتل صاحبها بعد أن استتابه. ثم سار إلى بهاطية فقدم له أصحابها فروض الطاعة.[6]

أخذ السلطان محمود ينظم شؤون هذه الولايات، ويرتب أوضاعها، وقد أعجب كثيرا بجمال إقليم كجرات، بمناخه المعتدل، وهوائه العليل، وفكر في الإقامة به، ونقل عاصمة ملكه إليه، ويستخلف ابنه مسعود على غزنة، لكن حاشيته، وكبار قادته ووزرائه،اعترضوا على ذلك، سيما من كان منهم من أهل غزنة، عندئذ، عدل السلطان

---

(1) فريد محمد علي، المرجع نفسه، ص 192.

(2)- غوستاف لوبون، حضارات الهند، ترجمة عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، 2009، ص 220.

(3)- أحمد محمود الساداتي، المرجع السابق، ص 94.

(4)- كندهه، قلعة في البحر، بينها وبين البر من جهة سومنات أربعون فرسخا، أنظر ابن الأثير، المصدر السابق، ص 150.

(5)- ابن الأثير، المصدر نفسه، ص 150.

(6)- ابن الأثير، المصدر نفسه، ص 150.

عما نواه، وعين بدلا عنه نائبا، واتخذ من مدينة لاهور عاصمة للدولة الغزنوية في الهند.[1]

كتب السلطان محمود بهذا الفتح العظيم كتابا إلى الخليفة العباسي القادر بالله، شرح فيه وقائع فتح سومنات، وكيف نشر الإسلام في صفوف الهنود الوثنيين،[2] فأعرب الخليفة العباسي عن سعادته البالغة، وأرسل إلى السلطان محمود في شوال سنة 417ه/1026م يقلده ولاية خراسان، والهندوستان، وجرجان، وخوارزم، وكل البلاد الواقعة تحت سيادته.وجعل له ألقابا، ولأولاده وإخوته، حيث لقب محمود [بكهف الدولة والإسلام]، ومسعود بلقب [شهاب الدولة وجمال الملة] ويوسف [بعضد الدولة ومؤيد الملة].[3]

وكتب رسالة أيضا قال فيها "اجعل من تريد وليا لعهدك واختيارك سوف يوافقنا". وأفاض القادر،الشكر للسلطان، والثناء عليه، وعلى جهوده في نشر الإسلام، والذوذ عن الخلافة الإسلامية. آخر فتوحات السلطان محمود الغزنوي كانت حملة نهرية قام بها لتأديب قبائل الزط[4] في إقليم البنجاب، وكانت هذه القبائل قد اشتد نشاطها، بعد أن انفرط عقد إمارة لاهور الهندية، وعاثت في الأرض فسادا، حتى هاجمت جيوش غزنة، مرات عديدة، أبان زحفها على بلاد الهند.[5] فخرج السلطان محمود سنة 418ه/1027 م لتأديبهم فجهز 1400 قارب مجهز بقذائف حديدية وكل قارب يحمل 20 مقاتلا ولما سمع الزط بقدوم

---

(1)– الساداتي، المرجع السابق، ص 98-99، عصام الدين الفقي، المرجع السابق، ص 26.

(2)– ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، الجزء 15، ص 182.

(3)– الكرديزي، المصدر السابق، ص 270، الهروي، المرجع السابق، ص 34.

(4)– الزط تعريب لكلمة فارسية الجت Jat أو juts، اتفق المؤرخون والجغرافيون واللغويون على أن أصلهم بلاد الهند، فهاجروا إلى بلاد فارس والعراق لغلاء المعيشة في بلادهم، ويحدد ابن حوقل منطقتهم بين المنصورة ومكران في بلاد السند.

أنظر: البلاذري أبو الحسن، احمد بن يحي بن جابر، فتوح البلدان، شرح وتحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1987، صص 221-230-235-615-624.

(5)– الكرديزي، المصدر السابق، ص 270، الساداتي، المرجع السابق، ص.

السلطان جهزوا 4000 قارب والتفوا بالسلطان وقاتلو ببسالة لكن جيوش السلطان هزمتهم وحاولوا الرجوع إلى الشاطئ، لكنهم وجدوا جنود السلطان وأرغموهم على التراجع إلى النهر وهزموهم.[1]

4-الآثار الحضارية لفتوح السلطان محمود على بلاد الهند:

لعل ما يميز دولة عن دولة، وحضارة عن أخرى، تلك المؤثرات الحضارية، التي تركتها، ومدى استمرار هذه الآثار، وفعاليتها، وقوتها، وتحديها، للعوامل السياسية، والاجتماعية، والبيئية، والتي دائما ما تحول، بين مظاهر الحضارة، وبين بقائها قوية وحية تتمتع بعناصر التجديد والحيوية.

كان تركيز الدراسات، ومازال معظمها، منصبا، ومركزا، على الاهتمام بمنجزات الفتوح الإسلامية، من النوحي السياسية، والاقتصادية، والعسكرية. وربما يعود السبب في ذلك، إلى عدم احتواء، معظم المصادر التاريخية، على معلومات كافية، تتعلق بالجوانب الحضارية ،لأي فتح، بل ركزت جل اهتمامها، على سرد الأحداث السياسية، والعسكرية الصرفة، دون الإشارة إلى ما تركته هذه الأحداث، من آثار حضارية، على الشعوب المفتوحة.

وبناء على ذلك، فإن فتوح السلطان محمود الغزنوي، في شمال القارة الهندية، لابد أنها تركت بعض الآثار الحضارية، على المجتمع الهندي، في جميع جوانب الحياة، الدينية، والاجتماعية، والثقافية، و العلمية.

أ- الآثار الدينية:

تجلت أهمية انتصارات محمود العسكرية، في بلاد الهند، فيما قام به، من تحطيم للخرافات، وأساطير الهنود، المتعلقة بأصنامهم، وخاصة ما قام به محمود من تحطيم لكبير أصنامهم بسومنات، حيث أثبت للهنود، أنه لا يستطيع منع نفسه من العدو، فكيف يمنع غيره، كما أن سقوط هذا الصنم، كشف للعقلاء الهنود، عن عقم اعتقادهم، فإن لم

---

(1)- الكرديزي، المصدر نفسه، ص 270.

يتحولوا إلى الإسلام ،فسوف يثير شكوكهم دائما، خاصة، وأنه يأتي في مقابل ذلك، المعاملة الحسنة التي يلقاها الهنود على يد محمود، الذي ألزم رجاله بإقامة العدل، وحسن معاملة المغلوبين، وصيانة كرامتهم.[1] وكان لهذا التسامح، أثره العميق على شعوب الهند، فالسلطان محمود، لم يتخذ من انتصاراته المتلاحقة، وسيلة للقمع والإبادة، ولا غرضا دعويا، لإظهار معتقداته ونشرها، بطرق تعسفية، بل أبدى تقديرا، واحتراما، إزاء المعتقدات الدينية للشعوب الهندية، وأبقى كثيرا من ملوك الهند على حكمهم، بعد توقيعه معاهدات صلح معهم.[2] ولم يكرههم ، على التخلي عن ديانتهم، بالقوة وحد السيف. وقد أشار إلى ذلك توماس أرنولد[3] بقوله: " والحق إن الإسلام، قد عرض في الغالب، على الكفار من الهندوس، قبل أن يفاجئهم المسلمون بالقتال...".

كما سمح لأكثر الهنادكة، الذين حافظوا على عقائدهم، بممارسة الطقوس، والشعائر الدينية، الخاصة بهم، على الرغم من وجود العديد من هؤلاء، في صفوف القوات الغزنوية، يشاركون الجيش الغزنوي في العديد من المعارك الحربية[4] وبناءا على ذلك فمن الخطأ الجسيم أن يقال أن الإسلام انتشر في الهند عن طريق القوة أو بضغط من الفاتحين المسلمين.[5] ما لثبت عقيدة الإسلام، وشرائعه السمحة، بمبادئها الإنسانية الرفيعة، ونظمها الاجتماعية ،القائمة على العدل والمساواة، بين معتنقيها، إن اجتذبت إلى صفوفها الآلاف من الهنود، في ازدياد متدرج، ولما كان السلطان محمود سني المذهب، فقد اعتنقوا الإسلام على المذهب السني وحذو حذوه.[6]

---

(1)- إيمان علاء الدين إبراهيم، المرجع السابق، ص 124.

(2)- الجوارنة أحمد: جهود السلطان محمود في نشر الإسلام السني في أواسط آسيا إيران، أفغانستان والهند، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة مؤتة الأردن، المجلد 11 العدد الثاني 1996م، ص 143

(3)- أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النصراوي، مكتبة النهضة المصرية، 1970، ص 288.

(4)- الجوارنة، المرجع السابق، ص 143.

(5)- فريد محمد علي، المرجع السابق، ص 197.

(6)- فريد محمد علي، المرجع نفسه، ص 197.

أصبحت مدينة لاهور، مركزا ثقافيا، ودينيا مهما، بعد أن خضعت لسيادة السلطان محمود. وكان الشيخ إسماعيل اللاهوري، أحد أقوى الدعاة، الذين منحهم السلطان محمود، صلاحيات واسعة، وجعله حاكما إداريا عليها، واستطاع بجهوده وكفاءته الدعوية، أن يحول عشرات الآلاف من الهنود إلى الإسلام.[1]

انتشر الإسلام بين الهنود عن طريق الفقهاء، والوعاظ ودروسهم، والعلماء، والمتصوفة ورحلاتهم، فقد وجد المتصوفون، من الفرس والترك، في بلاد الهند، ملاذا يلجئون إليه، من بلادهم المضطربة، ولقيت الصوفية ترحيبا ورواجا، من أهل الهند، الذين كانوا يميلون إليها بطبعتهم[2].

امتد تأثير الدين الإسلامي، إلى الذين لم يؤمنوا به أيضا، وأثرت عقيدة التوحيد في الديانة الهندية ذاتها، وظهر إثر ذلك ديانات جديدة مثل (بهاجتى) ودعوة (كبير داس).

وبرز كثير من المصلحين، الذين دعوا إلى المساواة بين الأديان، ووحدة العقيدة، وأن قدر المرء بعمله، وليس بنسبه، وهاجموا الطقوس البرهمية الجافة، ومن أمثال هؤلاءنام ديو كبير ونانك اللذان أنكرا عبادة الأصنام، والقول بتعدد الآلهة، وتحريم زواج الأيامى، وممارسة عادة الساتي،[3] والطبقية الجامدة، وقال بأن الله هو رب الناس جميعهم.[4]

ومن جهة أخرى، فقد أدت فتوحات السلطان محمود، إلى هجرة واسعة النطاق، إلى بلاد الهند، الواسعة الأرجاء.وأقام المسلمون على اختلاف قومياتهم، من عرب، وفرس، وأتراك، في أغلب المدن، واحتلوا أمنع الحصون، فكأنهم هذه المرة اقتحموا صميم الحياة الهندية.وعلى العكس، لم يترك هذا النفوذ الإسلامي نهبا للعزلة والضياع، كما كان شأن

---

(1)- الجوارنة، المرجع السابق، ص 140.

(2)- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص 34.

(3)- عادة هندية قديمة ترسل بموجبها المرأة إلى المحرقة مع جثة زوجها المتوفى، أنظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا، ar.wikipedia.org.

(4)- فريد محمد علي، المرجع السابق، ص 198.

السند. وأصبح الامتزاج الحضاري، واضحا بين المقومات الوافدة، والمقومات القديمة،في أرض الهند ذاتها.[1]

فبدأ هؤلاء المهاجرون بمختلف تخصصاتهم، يباشرون أعمالهم، التاجر في تجارته، والداعي إلى الإسلام في دعوته، والعالم والمفكر في علمه وفكره، وكان من الطبيعي أن يصحب هذه الهجرة استقرار اجتماعي، وبناء أسر، وحدوث تزاوج وتوالد، مع أهل البلاد المفتوحة.[2]ونتج عن ذلك، ظهور طبقة جديدة في المجتمع الهندي، تعرف بـ: (المولدين) تمثل حضارة إسلامية مزيجه، من الحضارات التركية، والفارسية، والهندية، تنعم بالتسامح الديني وتنبذ التفرقة، التي كانت من أبرز خصائص، المجتمع الهندي قبل الإسلام.[3]

تأثر المجتمع الهندي بعمق، بعادات الأتراك القادمين وتقاليدهم، فشاعت الأزياء الإسلامية، واحتفل الناس بأعياد المسلمين ومواسمهم، وانتشر الحجاب بين الطبقات العليا من الهنود الذين بقوا على دينهم.[4]وتخلص المنبوذون من نظام الطبقات الجائر، وأصبح الناس سواسية، لذلك لاقى الدعاة المسلمون في البنغال، ترحيبا عظيما من السكان الأصليين، والطوائف المنبوذة، لما حمله هؤلاء الدعاة، من مبادئ الحرية والمساواة، وتكريم الإنسان. وبفضل ذلك دخل أفواج كثيرة من أهل الهند في الإسلام مستفيدة من مبادئه السمحة، وأعلنوا وحدانيتهم وتخليهم عن دياناتهم الوثنية البالية.[5]

رفع الإسلام من شأن المرأة الهندية وأعلى قدرها، وأبان لها دورها في واقع حياة الإنسان، في الوقت الذي كانت فيه المرأة الهندية، تحرق نفسها بالنار، عند وفاة زوجها، فهي لم تكن ترى، ولا المجتمع الهندي يرى، أن لها حقا في الحياة بعد زوجها. وجاء في شرائع الهندوس: ليس الصبر المقدر، والريح والموت والجحيم، والسم والأفاعي والنار

---

(1)- فريد محمد علي، المرجع نفسه، ص 198.

(2)- أرنولد توماس، المرجع السابق، ص 296.

(3)- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، الدول المستقلة، ص 135.

(4)- إيمان علاء الدين إبراهيم، المرجع السابق، ص 124.

(5)- أرنولد توماس، المرجع السابق، ص.

أسوأ من المرأة.[1] هكذا كانت بلاد الهند مسرحا للجهل، والوثنية الوضعية، والقسوة والهمجية، والجور الاجتماعي، فجاء الإسلام الذي حمله محمود الغزنوي، وجنوده، وعلماؤه ،وفقهاؤه، وأبطل ذلك النظام الاجتماعي الفاسد، وأرسى دعائم التوحيد، ودعا الناس إليها، وكرم الإنسان، ورفع منزلته ،وكان لهذا أبعد الأثر، في إقبال الهنود، على الدخول في هذا الدين الجديد، بعدما عرفوا الفرق بين الحق والباطل والإصلاح والفساد.[2] تجلت آثار الفتح الإسلامي للهند أيضا، في إلغاء العديد من العادات، والتقاليد الاجتماعية الباطلة، التي سادت المجتمع الهندي، قبل الفتح الإسلامي، منها أنهم كانوا لا يحلقون شيئا من شعرهم، ويظفرون اللحي، ويطيلون أظافرهم فخرا، ويشربون الخمر على الريق، يحتسون بول البقر، ولا يأكلون لحمها، ويبدءون بغسل الرجل قبل الوجه، ويغتسلون ثم يجامعون النساء، ويأخذون اليد في المصافحة من وجهة ظهر الكف، ولا يستأذنون للدخول إلى البيوت يم لا يخرجون من غير استئذان، ويتيمنون بالظرطة، ويتشاءمون بالعطاس، ويستقذرون الحائك، ويستنظفون الحجام، كل هذه العادات، والتقاليد، وغيرها أبطلها الإسلام،واستبدلها الهنود المسلمون، بعادات وتقاليد إسلامية رفيعة وأخلاق نابعة من روح الإسلام الحنيف.[3]

ب- <u>الآثار الثقافية والعلمية:</u>

لم يكن السلطان محمود الغزنوي فاتحا غازيا عالي المكانة من الناحية العسكرية فحسب، بل كان سلطانا عاقلا، وأديبا كيسا، ناظما بين حاشيتي المادة والمعنى، جامعا بين دولة السيف والقلم.[4] وعرف السلطان محمود إلى جانب شهرته الحربية، برعايته للعلوم والآداب،و عظيم بذله لأربابها والمشتغلين بها، حتى قصدوا بلاطه، وكان من بين العلماء

---

(1)- مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، دار الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة السابعة 1999م، المملكة العربية السعودية، ص 17.

(2) الندوي أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟، مكتبة الإيمان، المنصورة، ص 46-50.

(3)- البيروني، المرجع السابق، ص 129-132.

(4)- فريد محمد علي، المرجع السابق، ص 200.

والمفكرين الذين ازدان بهم بلاطة، العلامة أبو الريحان البيروني، الرياضي، والفيلسوف، والفلكي، العالم بلغات الهند وثقافتها، وحضارتها، والذي تعد مؤلفاته، أعظم ما عرف المسلمون، عن حياة الهنادكة، الاجتماعية، والسياسية، والعقلية، على السواء. ثم العتبي الوزير صاحب تاريخ اليميني، والبيهقي صاحب تاريخ آل سبكتكين،والفارابي الموسيقي الفيلسوف.[1]

ونظرا لأهمية شخصية البيروني، فإنه يجدر بنا، التعريف بها، وبيان دورها العلمي، فهو أبو الريحان، محمد بن أحمد، البيروني، الخوارزمي، ولد في 03 ذي الحجة 362ه الموافق ل 04 سبتمبر 973م، في ضاحية من ضواحي مدينة كات، نواحي خوارزم، فبيرون تعني خارج، وقد ألحقت به هذه النسبة، لأنه ولد خارج خوارزم.[2] كان منذ مطلع حياته، مولعا بدراسة العلوم الطبيعية، والرياضيات، الذي تتلمذ فيها، على يد أبو نصر منصور بن عراق، وبرع في هذا العلم، حتى صار من أكابر علمائه. تنقل البيروني بين أكثر من بلاط من بلاطات ملوك وأمراء إقليم المشرق الإسلامي، قبل استقراره في البلاط الغزنوي، لعل أهمها، بلاط الأمير الزياري شمس المعالي قابوس بن وشمكير في جرجان، واستطاع خلال هذه الفترة، تأليف عدد من المصنفات، أشهرها كتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية) الذي أهداه إلى الأمير شمس المعالي قابوس.[3]

انتقل البيروني إلى البلاط الغزنوي، عندما دخل السلطان محمود إلى خوارزم، وكان البيروني ضمن مجموعة من الأسرى، ممن قبض عليهم، وتم حملهم إلى غزنة. ثم حرره السلطان محمود وأدخله في خدمته، وجعله مستشارا له، في أسفاره ومغازيه في الهند، التي أقام فيها وتعلم لغة أهلها واقتبس علومهم.[4]

---

[1]– انساداتي، المرجع السابق، ص 99.

[2]– خديجة ثلجوم، المرجع السابق، ص 113.

[3]– فريد محمد علي، المرجع السابق، ص 200.

[4]– فريد محمد علي، المرجع نفسه، ص 200.

وجعل البيروني ثروة الهند العلمية الكبيرة، في الرياضة والفلسفة و الإلهيات، في يد العرب والفرنج، بما ألفه في ذلك من كتب، لا تزال خير مرجع لكل من كتب عن الهند، وهو بذلك كان بهذا العلم درة في الدولة الغزنوية، كإبن سينا في الدولة السامانية.[1]

كما كان للبيروني مؤلفان مشهوران، في النجوم والهيئة والهندسة، يسمى إحداهما "التفهيم في صناعة التنجيم"، ألفه سنة 420 ه، وأهداه للسيدة ريحانة الخوارزمي وكتب ثانيهما "قانون المسعودي" وأهداه للسلطان مسعود، ثم أهدى بعد ذلك كتابه عن الأحجار الكريمة، إلى السلطان مودود بن مسعود.[2] ومن أبرز مؤلفاته القيمة كتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، والذي قارن فيه بين رياضة الهند، وفلسفة اليونان، واستقى البيروني معلوماته عن الهند من المراجع السنسكريتية الهندية مباشرة.وقد أشار بعض المؤرخين إلى هذا العمل العظيم بقوله: "كانت محاولة فريدة من رجل مؤمن، يدرس بنزاهة وتجرد حضارة وثنية".[3]

وقال مترجم هذا الكتاب الدكتور سخاو في مقدمته، "أن الباحث الحديث في أيامنا لو أراد دراسة اللغة السنسكريتية والهندية لتعينه على دراسة العلوم والآداب المختلفة بهذه البلاد (بلاد الهند) لأخذ وقتا طويلا في بحثه دون أن يتمكن من معرفة تاريخ الهند القديم، ولكن البيروني ببراعته، ودقته في هذا العلم، استطاع التوصل، إلى تاريخ هذه البلاد، وأن يحقق للمهتمين والدارسين، في هذا العلم، من المعلومات القيمة، دون تعب وعناء.[4]، كان أبو الريحان البيروني مهندسا وفلكيا، لا يقل مكانه عن معاصريه، في ذلك الوقت، أمثال أبي معشر وأحمد عبد الجليل، كما كان له إلمام تام بمدارس بغداد والبصرة العلمية. إلا أن نظرة أولئك العلماء كانت متأخرة قياسا إليه، فالبيروني يصف الجاحظ وهو أكبر علماء

---

[1]– أحمد أمين، ظهر الإسلام ظهر الإسلام شركة، نوابغ الفكر الطبعة الاولى ص124 .

[2]– العمادي، المرجع السابق، ص 323.

[3]– العمادي، نفسه، ص 324.

[4]– ادوارد براون، تاريخ الأدب في إيران، من الفردوسي إلى سعدي، تعريب إبراهيم الشواربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004، ص 117.

البصرة في القرن الثالث الهجري (9م) بأنه "ساذج سريع التصديق" ومع ذلك لم يبدع مذهبا جديدا لا في الرياضة ولا في الهيئة، بل ظل مؤمنا بالتنجيم مشاركا معاصريه في ذلك.[1]

وكان من آرائه في المعتقدات الدينية الغربية، وخاصة الأديان الهندية، أن هذه المعتقدات تابعة لأسباب واحدة في كل مكان، وكان يهتم بالفرق بين دين الخواص ودين العوام في كل موضع، فهو لا يعترض، ولا ينقد مطلقا، حينما يشرح العقائد الدينية، وإذا قارن دينا بدين آخر، فإنما يقارنهما مقارنة علمية صعبة. وعلى ذلك يمكننا القول، أن مؤلفات البيروني الاساسية، تحتل مكانة من حيث وفرة مواردها، وما فيها من الاهتمام بتطبيق الأصول العلمية ،على أن البيروني كتب مؤلفاته بلغة صعبة جدا، ولا يمكن لأي شخص عادي معرفة علومه وقد اعترف بذلك في كتابة "تحقيق ما للهند"، بأنه ألف كتبه للعلماء ولا للعوام.[2]

وصفوة القول أن البيروني كان من كبار العلماء، الذين ظهروا في القرنين الرابع والخامس الهجريين، فلم يترك علما إلا ألف فيه، وكان إلى جانب ذلك، يفضل الكتابة بالعربية، على الفارسية، لأن العربية أكثر طواعية للعلم ومصطلحا ته من الفارسية. وتدل كتبه التي نشرت ابتدءامن كتابة "الآثار الباقية عن القرون الخالية" إلى آخر كتاب ألفه على سعة أفاقه العلمية وعمقه فيها.[3]

شهدت الحياة الإسلامية في الهند، نشاطا خصبا للغة الفارسية، التى تطورت وازدهرت في بلاط الأمير سبكتكين بغزنة ثم في بلاط ابنه السلطان محمود، إذ نقل الأتراك إلى الهند الثقافة الفارسية، ومظاهر الحياة التركية والفارسية، لذلك انتشرت في المجتمع الإسلامي

---

(1)– فاسيلي بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، دار المعارف، مصر، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1966، ص 112.

(2)– فاسيلي بارتولد، المرجع نفسه، ص 112-113.

(3)– العمادي، المرجع السابق، ص 325.

بالهند اللغة الفارسية لغة الثقافة في ذلك العصر، ولم تنتشر العربية وبالتالي لم تزدهر الثقافة العربية في الهند ازدهارها في الأقاليم والدول الإسلامية الأخرى.[1] ساعد على ذلك شيوخ العلم الذين وفدوا على الهند من علماء ما وراء النهر الشغوفين بعلوم اليونان والثقافة الفارسية، وبهذا اصطبغت الثقافة الإسلامية في الهند بهذه الصفة، كما شهد الأدب الفارسي ازدهارا كبيرا، زاد عندما رحل أدباء فارس إلى الهند، وأصبحت اللغة الفارسية لغة التأليف والكتابة للمسلمين وغير المسلمين، واستفاد المسلمون من اللغة السنسكريتية، وقاموا بترجمة التراث الهندي السنسكريني إلى اللغة الفارسية وبالعكس أيضا ترجموا التراث الإسلامي إلى اللغة السنسكريتية.[2]

يعد نشوء اللغة الأردية، من أهم الآثار الثقافية والعلمية، لفتوح السلطان محمود في شبه القارة الهندية، فالعديد من الأدباء والمؤرخون، يذكرون ،أن اللغة الأردية بدأت في الظهور بدخول جيوش السلطان محمود مدينة لاهور ونشأت إثر ذلك الاختلاط، بين المؤثرات الفارسية والهندية والتركية والعربية، لذلك يمكن القول أن اللغة الأردية خليط من اللغات الهندية والفارسية والتركية والعربية.

والمهم إن كلا من الغالب والمغلوب تأثر بالآخر، وتم ما يمكن أن نسميه، توطن الحضارة الإسلامية في الهند التي اكتسبت طابعا هنديا مع الاحتفاظ بروحها وجوهرها.

وبناء على ذلك يمكن القول أن العصر الغزنوي ضاعف الارتباط بين الهنود وبين المسلمين، وفتح الباب أمام الهنود ليبدعوا في الفكر الإسلامي وليكتبوا في مجالاته المتعددة، حتى وجدت منافسة بين مدرسة الهند والمدارس العلمية في القاهرة وبغداد.

---

(1)- فريد محمد علي: المرجع السابق، ص 203.

(2)- عصام عبد الرؤوف الفقي، الدول المستقلة،ص 135.

الخاتمة

تمثلت أهم نتائج هذه الدراسة فيما يلي:

أولا: إن اعتماد السامانيين على الأتراك في أمور دولتهم أدى إلى زيادة نفوذهم وعلو شأنهم في الدولة السامانية، و من أبرز هؤلاء الأتراك ،المملوك البتكين ،الذي تمكن بفضل مماليكه الأتراك من إقامة دولة مستقلة ،لا شأن لها بالسامانين إلا من ناحية التبعية الاسمية، ثم آلت الأمور بعد ذلك، إلى الأمير سبكتكين(والد السلطان محمود) الذي يعتبر، المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية و الذي استطاع توسيع نفوذه و ضم بعض البلاد المجاورة إلى حوزته.

ثانيا: مثل ظهور الدولة الغزنوية، أول انتصار للعنصر التركي، في صراعه الطويل مع العنصر الفارسي على السيادة النهائية في حكم بلاد المشرق، إذ نجح في إسقاط الدولة السامانية السنية، ذات الأصول الفارسية، وورث ممتلكاتها، الواقعة جنوب نهر جيحون، و أزالوا سلطة البويهيين في بلاد فارس (الري و الجبل) وهي الدولة الشيعية ذات الأصول الفارسية أيضا.

ثالثا: نجحت سياسة السلطان محمود ،القائمة على استراتيجية التوسع و ضم المزيد من الأراضي، في تحقيق مكاسب، سياسية و عسكرية كبيرة ،أبرزها بسط السلطان محمود سيطرته على إقليم خراسان الاستراتيجي، معلنا بذلك سقوط الدولة السامانية ودخول ممتلكاتها الواقعة جنوب نهر جيحون تحت سيادة الدولة الغزنوية.

رابعا:حققت فتوح السلطان محمود، و حملاته في شبه القارة الهندية، مكاسب سياسية واقتصادية و عسكرية كبيرة جدا، لعل أبرزها: خضوع أقاليم الهند، الشمالية، للنفوذ الغزنوي، بعد ما لا يقل، عن سبعة عشرة حملة عسكرية مظفرة، تم فيها، اختراق العوائق السياسية، التي كانت تحول بين المسلمين و الوصول

إليها، هذا فضلا عن المكاسب الدينية، المتمثلة في تحويل عقائد الكثير من الهندوس، و اتجاهاتهم الفكرية، لصالح العقيدة الإسلامية، و بالتالي إدراج تلك المنطقة وشعبها، ضمن البلاد و الشعوب الإسلامية، ليبقى هذا التأثير متأصلا راسخا في عقول و أفئدة الشعب الهندي إلى يومنا الحاضر.

خامسا: كشفت دراسة الآثار الحضارية،والدينية، والاجتماعية، و الثقافية و العلمية لفتوح السلطان محمود، و حملاته، في شبه القارة الهندية، مدى توفيق السلطان محمود بين الفتح العسكري، و بين نشر الدعاة، لتبليغ رسالة الإسلام، إلى الشعوب الجديدة، من خلال إنشاء المراكز العلمية، التي أولت اهتماما بتحقيق هذه الأغراض مثل المساجد، و دور العلم، و أصبحت مدن الدولة الغزنوية، كلاهور وغيرها ميدانا خصبا لتفريخ الدعاة، و نشر الدعوة الإسلامية.كما بينت دراسة الآثار الحضارية أيضا، مدى ما ترتب عن الفتح الإسلامي لبلاد الهند، من تلا قح ثقافي علمي بين الحضارتين، الاسلامية و الهندية، و التأثير و التأثر بينهما في جميع المجالات.

الملاحق

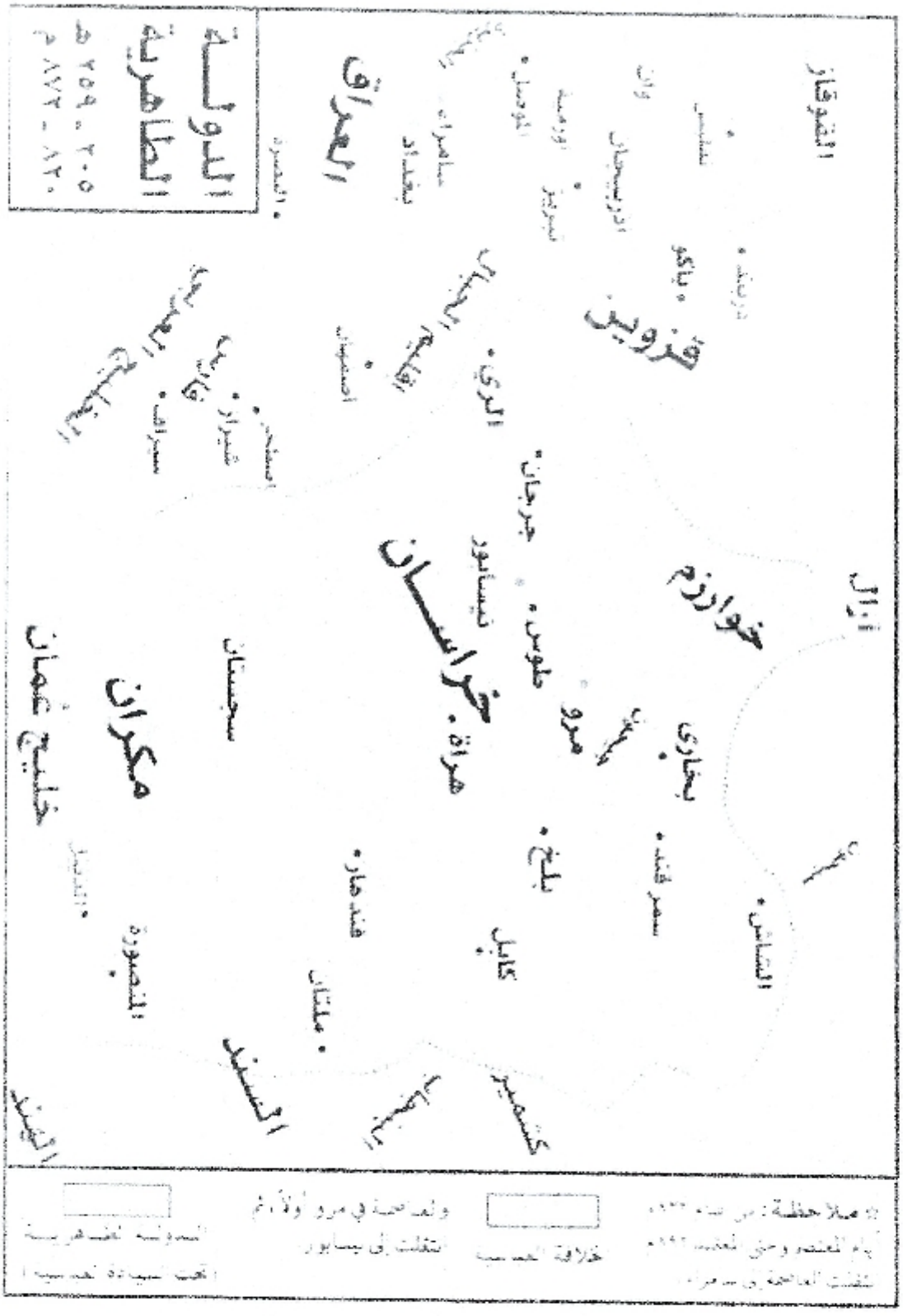

أطلس التاريخ العربي الإسلامي: شوقي أبو خليل، ط5، دار الفكر، دمشق، 2005م، ص52.

الصفارية ـ السامانية

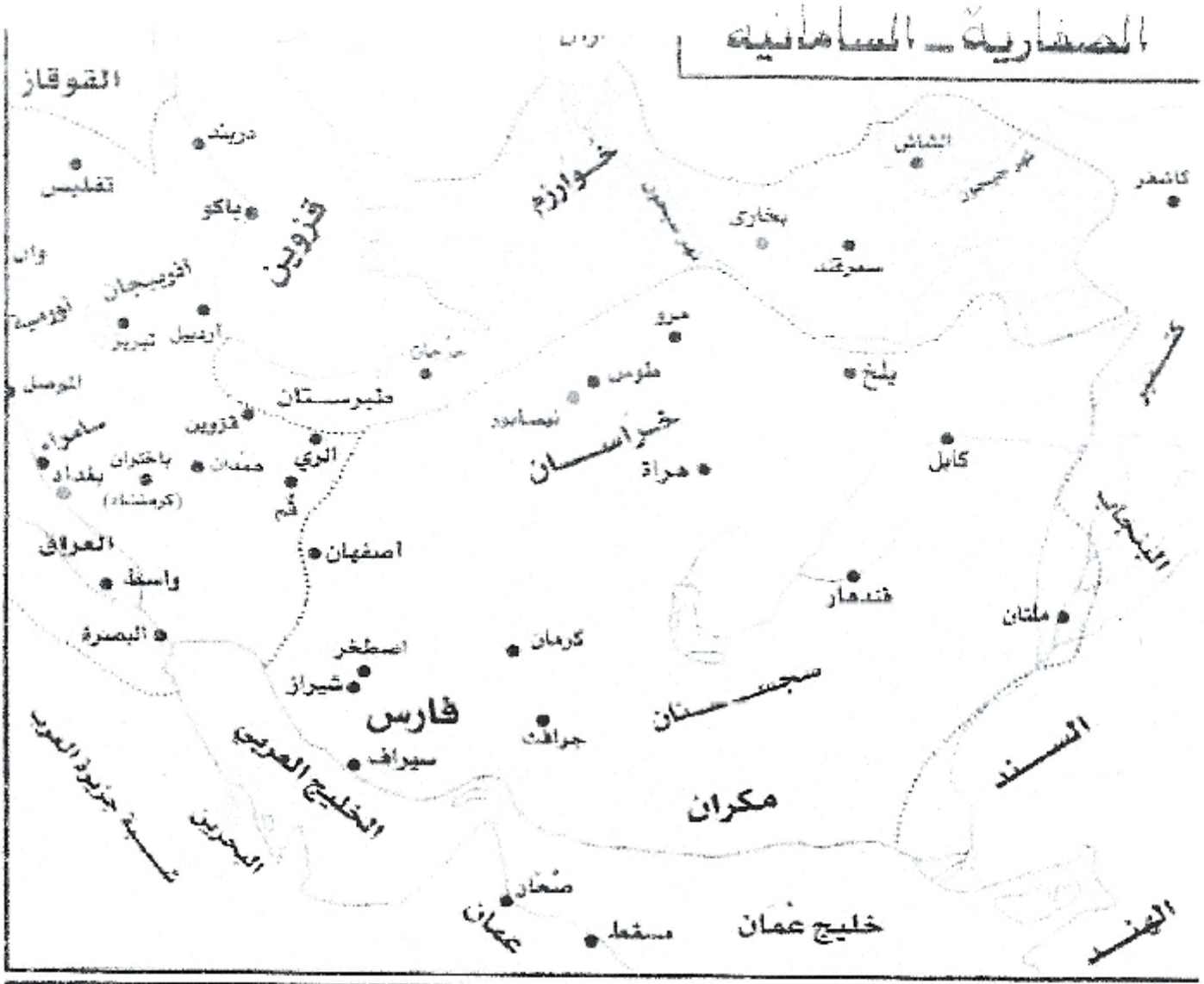

الدولة الاسماعيلية بطبرستان :

٢٥٠ ـ ٣١٦ هـ
٨٦٤ ـ ٩٢٨ م

١. الحسن بن زيد
٢. محمد بن زيد
٣. الحسن بن علي (الأطروش)
٤. الحسن بن قاسم
ثم الدولة الزيارية

الدولة الصفارية بسجستان :

٢٥٣ ـ ٢٩٨ هـ / ٨٦٧ ـ ٩١٠ م :

١. أسسها يعقوب بن الليث الصفار وبدأ من سجستان
٢. عمرو بن الليث الصفار
٣. طاهر بن محمد بن عمرو
٤. الليث بن علي بن الليث
٥. المعدل بن علي بن الليث

الدولة السامانية بما وراء النهر :

٢٦١ ـ ٣٩٥ هـ / ٨٧٤ ـ ١٠٠٤ م :

١. مؤسسها نصر بن أحمد بن أسد بن سامان
٢. إسماعيل بن أحمد
٣. أحمد بن إسماعيل
٤. نصر بن أحمد
٥. نوح بن نصر
٦. عبدالله بن نوح
٧. منصور بن نوح
٨. نوح بن منصور
٩. منصور بن نوح
١٠. عبدالله بن نوح
١١. إسماعيل بن نوح

الخلافة العباسية

القرامطة

الدولة الاسماعيلية بطبرستان

الدولة السامانية بما وراء النهر

الدولة الصفارية بسجستان

المرجع نفسه

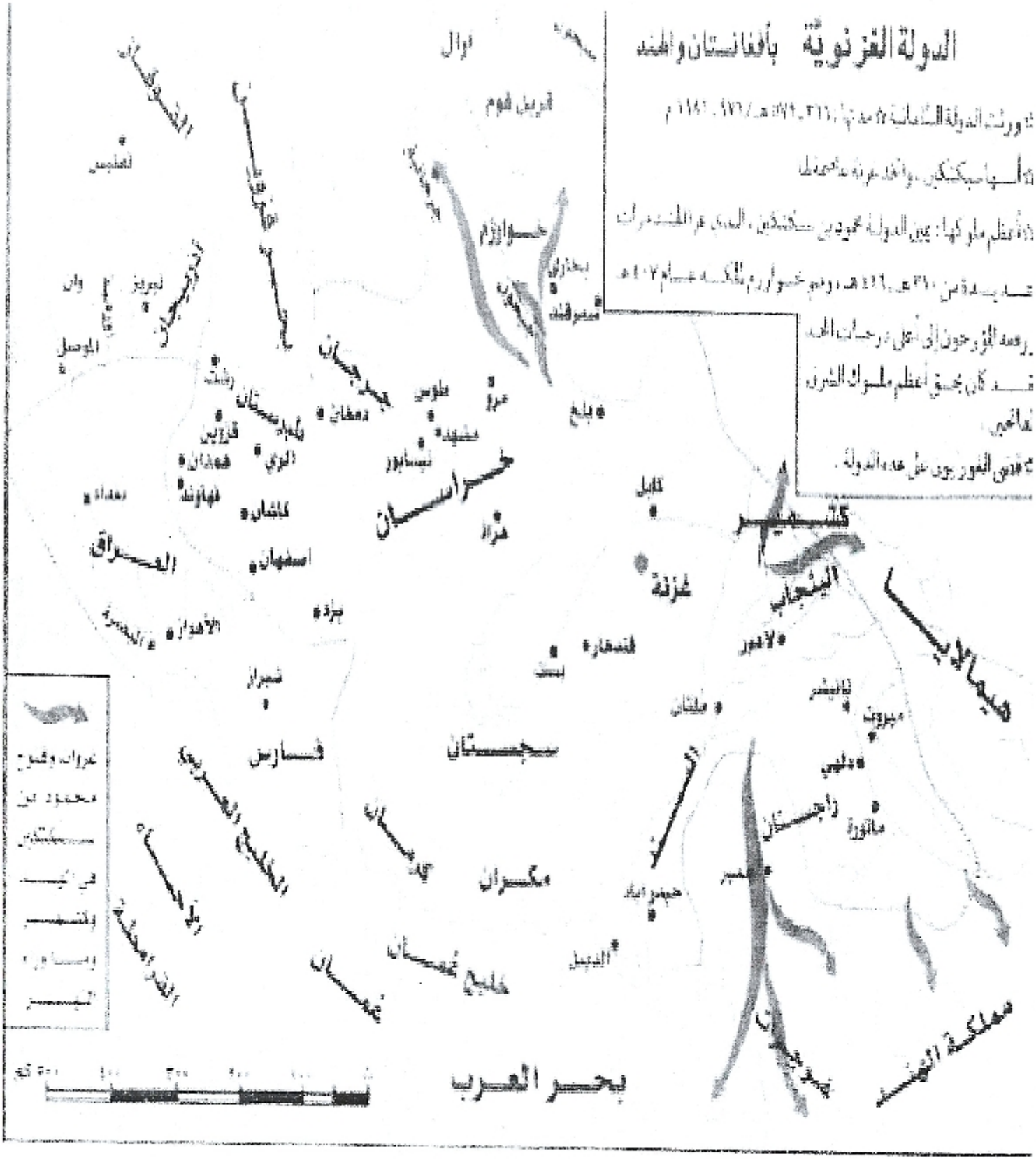

شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص 62.

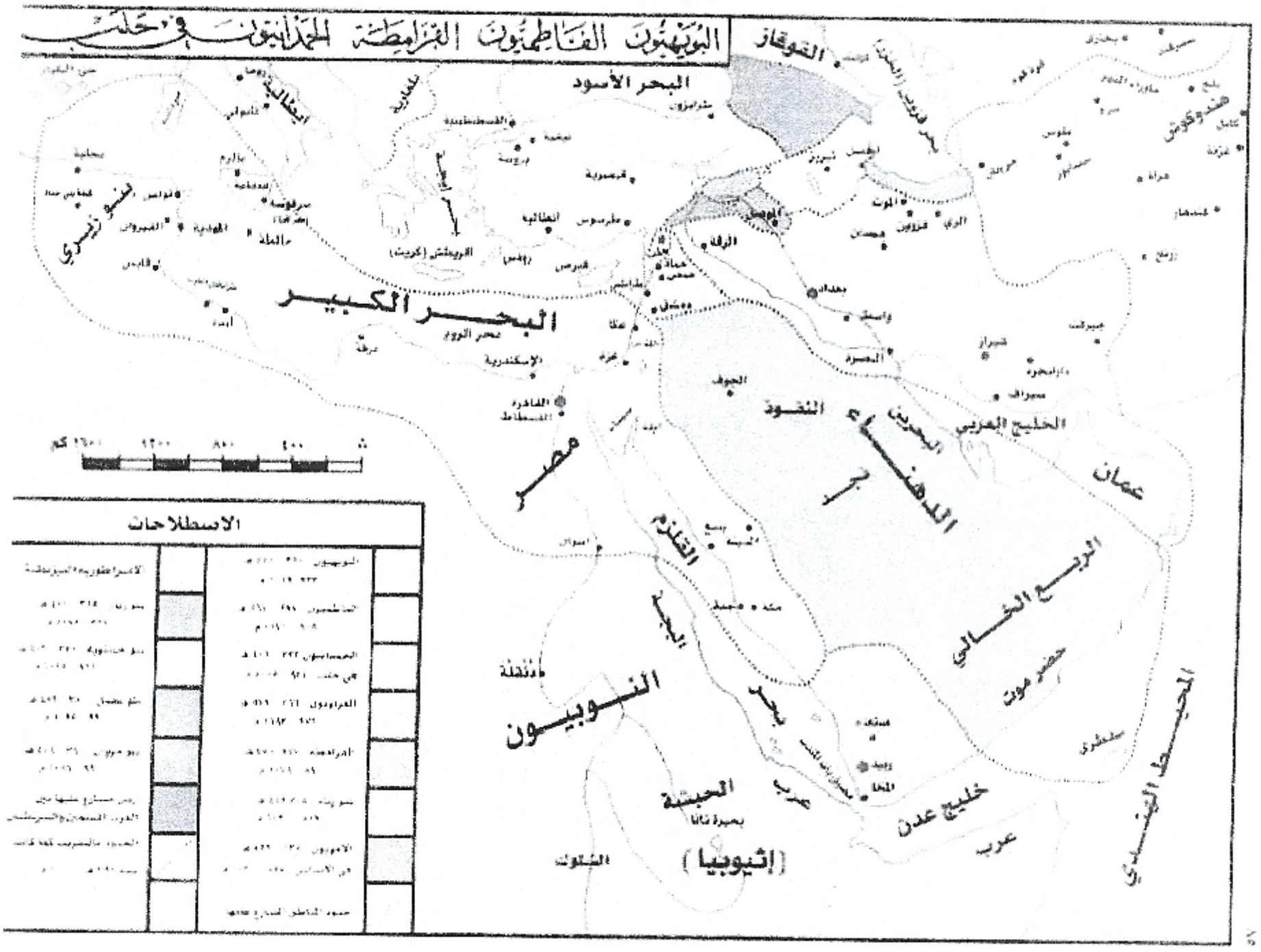
البويهيون الفاطميون الزيريون الحماديون في جنوب
القوقاز
البحر الأسود
البحر الكبير
مصر
النوبيون
الحبشة
(إثيوبيا)
النوبة
الجزيرة العربية
الخليج العربي
عمان
حضرموت
الربع الخالي
خليج عدن
البحر الأحمر
الأسطلاحات

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

1. ابن اسفنديار، بهاء الدين محمد بن حسن، تارخ طبرستان، ترجمة أحمد محمد نادي، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة 2002.
2. ابن الأثير، أبو الحسن على بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1987.
3. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، الجزء 15،
4. ابن العبري، غريغوريوس، أبو الفرج ابن هارون، تاريخ مختصر الدول، صححه وفهرسه الأب أنطوان اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت 1983.
5. ابن طباطبا، محمد بن على، المعروف بابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت.
6. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، الجزء الثاني.
7. الاتابكي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، الجزء الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت ط1 1992، جزء 4،
8. الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك تحقيق محمد جابر عبد العال الحسني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة 1961م.
9. أنظر الحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت 1977، المجلد الثاني.
10. البلاذري أبو الحسن، احمد بن يحي بن جابر، فتوح البلدان، شرح وتحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1987.

11. البيهقي، أبو الفضل محمد بن حسين، تاريخ البيهقي، ترجمة يحي الخشاب وصادق نشأت، دار الطباعة الحديثة، مصر.
12. البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة، عالم الكتب الطبعة الثانية 1403ه.
13. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى.
14. الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية الجزء الثامن.
15. الطوسي، نظام الملك، الحسن بن علي بن إسحاق، سياست نامة، ترجمة يوسف بكار، مطبعة السفير، عمان، الأردن2012.
16. العتبى، أبو نصر محمد بن عبد الجبار، تاريخ اليميني وبه شرح الشيخ أحمد بن علي المنيني الذي أسماه الفتح ألوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي، القاهرة 1869م.
17. القروينى، زكريا بن محمد بن محمود، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت.
18. الكرديزي، أبو سعيد الضحاك ابن محمود، زين الأخبار، ترجمة عن الفارسية عفاف السيد زيدان الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية -Kitabweb 2013Forumaroc.net
19. مسكويه، ابو على احمد بن محمد، تجارب الأمم، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت الجزء07.
20. النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر، تاريخ بخاري ،عربه عن الفارسية وقدم له وحققه وعلق عليه الدكتور أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، ط3 دار المعارف، القاهرة.
21. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الإرب في فنون الأدب تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت جزء 25.

22. الهروي احمد بخشي نظام الدين، طبقات أكبري، ترجمة عن الفارسية أحمد عبد القادر الشاذلي الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995، الجزء الأول.

المراجع:

1. إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي، السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب بيروت الطبعة الأولى.
2. أحمد أمين، ظهر الإسلام، نوابغ الفكر الطبعة الاولى2009.
3. ادوارد براون، تاريخ الأدب في إيران، من الفردوسي إلى سعدى، تعريب إبراهيم الشواربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004.
4. أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النصراوي، مكتبة النهضة المصرية، 1970.
5. ابو خليل شوقي، أطلس التاريخ العربي والإسلامي، .
6. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل بيروت الطبعة 14، 1996، الجزء الثالث.
7. حسن احمد محمود واحمد الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، القاهرة، الطبعة الخامسة.
8. ----------، الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار الفكر، القاهرة 1998 .
9. الساداتي، أحمد محمود، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، مكتبة الآداب، القاهرة.
10. طلس، محمد أسعد، تاريخ العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت المجلد الثاني، الجزء السادس
11. العبادي أحمد مختار، قيام دولة المماليك في مصر و الشام، الاسكندرية، 1982.
12. ----------، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
13. عبد الحي الحسيني، الهند في العهد الإسلامي راجعه وقدم له أبو الحسن علي الحسني الندوى، دار عرفات، الهند 2001.
14. عصام الدين عبد الرؤوف، بلاد الهند في العصر الإسلامي، عالم الكتب، القاهرة 1980

15. علي ظريف الأعظمي الدول الفارسية في العراق، مطبعه الفرات بغداد 1927.
16. علي محمد فريد مفتاح، فاتح شمال شبه القارة الهندية، السلطان محمود الغزنوي، دار جامعة عدن للطباعة والنشر الطبعة الأولى، 2006.
17. العمادي، محمد حسن، خراسان في العهد الغزنوي، مؤسسة حمادة للخدمات، اربد، الاردن 1997.
18. غوستاف لوبون، حضارات الهند، ترجمة عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، 2009،
19. فاسيلي بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، دار المعارف، مصر، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1966،
20. ----------، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ترجمة سلاح الدين عثمان هاشم، قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب الكويت 1401ه/1981 م.
21. فامبري، أرمنيوس، تاريخ بخاري، ترجمة أحمد محمود الساداتي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.
22. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس وآخر، دار العلم للملايين بيروت ط 1968/5.
23. كي ليسترنج بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، دار الرسالة، بيروت، ط02.
24. مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، دار الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة السابعة 1999م، المملكة العربية السعودية.
25. مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1996.
26. المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة 20.
27. الموسوعة الحرة ويكيبيديا، ar.wikipedia.org
28. الندوى أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟، مكتبة الإيمان، المنصورة.

الرسائل العلمية:

1. إيمان بنت علاء الدين إبراهيم صائغ، العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2004
2. خديجة ثلجوم، السلطان محمود الغزنوي،عصره وسياسته رسالة ماجستير غير منشورة جامعه الجزائر2 بوزريعة 2010

دوريات علمية:

1. الجوارنة أحمد، جهود السلطان محمود في نشر الإسلام السني في أواسط آسيا إيران، أفغانستان والهند، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة مؤتة الأردن، المجلد 11 العدد الثاني 1996م.

مراجع باللغة الأجنبية:

1. C.E Bosworth, the Ghaznavids their empire in Afghanistan and eastern Iran, 994-1040 Edinburgh1963
2. Lane_ poole ,Medieval india under Mohamaden rule NewYork1935
3. Munshi,(K.M) the struggle,for empire,Bombay 1966
4. NAZIM, M, the life, and times of sultan Mahmud of Ghazna combridge1931